قلم وريشة

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: قلم وريشة**
- **المؤلف: جواد سيف الدين**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 13072 / 2019**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-94-1**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- الغلاف: ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 9 شارع محلات السلام من عمر المختار أمام مستشفى الزيتون التخصصي – الأميرية - القاهرة

  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

قلم وريشة

رواية

جواد سيف الدين

ببلومانيا للنشر والتوزيع

لا تفتش عن سر الوجود أبعدَ من أنفِك، ولا عن وجودِ الله أبعدَ من قلبِك، يقبعُ الله في قلبِ كلٍ مِنا ومتى عرفنا بوجودهِ امتلكنا قوته وعرفنا أن لا مكان للمستحيل في قلبٍ يسكنهُ الله..

قلم وريشة

الإهداء :

إليكِ "لارا"، يا من حرَّكتِ قلمي: هذا نتاجُ عينيكِ

إلى الذين أقسموا أن الحبّ كذِب، أهديكُم كِتابي، أقرأوه وصوموا ثلاثَةَ أيام...

إلى أبي الذي يرى كلّ ما أفعله تافِها...
أهديكَ كتابي الذي لن تهتمَ لأمرِه!

إلى نفسي التي إذا أحبّت كتبت، وإذا غضبَت كتبت، وإذا انزعجت كتبت، وإذا خجِلَت كتبت،

إلى نفسي التي كانت الكتابةُ ملاذَها الأخير!

مدخل :

استفِق يا إنسانُ من سُباتِك العميق، استيقِظ في الصباح الباكر وارتدِ ثيابكَ الأنيقة، ثوب المحبة والإنسانية، اركض نحو لقمةِ عيشِكَ، لقمةٌ هي ليست طعاما ولا شرابا، هي لقمةُ المحبةِ والسلام.

اخرج وألقِ فُتاتَ خُبزٍ من ليلةِ أمس لعصفورٍ عابِرٍ...

أكمِل مسيرَك وابتسِم لذاك العجوز وكُن لعجزهِ سندًا، ساعد ذاك الكفيفَ لعبورِ الشارع، اترك شيئًا من ثيابِكَ على قارعة الطريق.

كثيرون من يقولون إن الإنسان يتميز عن باقي الكائنات بامتلاكهِ العقل، تلك معادلة معروفة لدينا نحنُ البشر، ولكنها معادلةٌ منقوصة بالنسبة لي لأن ما يميزُ إنسانيتنا ليس فقط العقل؛ فنحن نغفلُ كثيرًا عن وجود تلك القوة في صدورِنا التي تسكنُها قوى تُسَيِّرُنا نحو الخير أو ربما نحو الشر والطغيان إن لم نُجِد استعمالها، تماما كما يفعل العقل.

هو قلبُ الإنسان... نعم فهناكَ من يرى تلك الأمور صدفةً...

معطفٌ على الطريقِ صُدفة، وجودُ خبزٍ للعصافير صُدفة، مرورُ شخص طيبٍ ساعد آخر على عبور الشارعِ صُدفة، ولكن ستبقى هذه الصُدفةُ عالقةً بين الأرض والسماء، تزيدُ إيمانَ الأشخاص بالله...

هذه الصُدَفُ هي كذلكَ بالنسبة لذاكَ العابر، ولكن ليست كذلك بالنسبة لكَ، فأنتَ خُلِقتَ لكي تصنعَ له هذه الصُدفة بشيء وضعه الله في قلبك وأجدتَ استعماله كذاك الذي أجادَ استعمالَ الطاقة ليُنتِج النور بدل صنعها قنابلَ في الحروب.

إنها المحبة والسلام، هي صلةُ الإنسان بالرب وهذا محوَرُ الدين، أن تجعلَ الآخرين يرونَ الربّ فيكَ وأن تكونَ سببا بشعورِهم بالإيمان، فانت موجودٌ على الأرض لتقريبِ الناسِ من ربِهم من خلال خلقِ تِلك الصُّدفة وجعلِهم يشعرون بهذا الإيمان.

هيا اعبُر، فالموتُ وهمٌ كبير، لا أحد يموتُ إلا ذاكَ الذي مرّ في الحياةِ دون أثر، الذي فضّل العبوس بدل الابتسامة، ذاك الذي لم يعرِف كيف يستعمل قلبَه!

أقِم صلاتَك بينَ الفُقراء وليس بجامعٍ جامدٍ قد نحتَه مُنافقونَ ذهبا.

اجعل قُبلتكَ الفقير، وصلاتُك ابتسامةٌ أمام وجهٍ يتيم، انشُر الحبّ والسلامَ حولَك.

أسرِع فهناكَ من ينظِر روحَكَ وضِحكتَك العفوية، هناك من يترقبُ تعابيرَ وجهِكَ، أسلوبَ حديثِك، هناكَ من كُنتَ له شيئًا ناقصًا في يومهِ واكتملَ بحضورِك.

اقطف وردةً من على طرف الطريق.

احملها مسافات دون ملَل، لا تخجل من نظراتٍ غريبة حولك، واجعل الأمر يوميًا.

لا تقتل عفويتَكَ ولا تسمع لأحد أن يقتُلها...

سترى يوما أن تميزَك امتدَ وأن الجميعَ قد حمل وردةً.

لأنه في الأخير لا يبقى سوى وردة حمراء وأثر جميل وقصةُ قلَم.

هي رواية مستوحاة من قصةٍ حقيقية بينَ عاشقيْن، لذلك فهي كلمات من القلب من أقصى حدود المشاعر.

هو كتاب قد جمع كبتَ مشاعِرهم... قلَم وريشَة. إذن ما القلمُ وما الريشة؟

قلمٌ يسطِر كلامَ عشقٍ، قصة عاشقٍ انتشلتهُ فتاةٌ من حطامِ روحهِ. هو قلم ليس برصاص، هو مثل مبادِئٍ لا تُمحى. ولكنه يخرقُ القلبَ كرصاص، فينثرُ فيهِ العبيرَ حبا، فيكونُ البُعدُ قصاصًا.

أمّا عن الريشَة، فأحبَّت أن ترسُم لي ذكريات معها في عالمِها، فسهِرت أمسيةً بأكملها ترسمُ تفاصيلي على أرضِها، ولما فرغَت من ذلك، حاكت أجمل الأحداث وجعلتها تدورُ بينها وبيني كي تكون أحسَّت بحلاوةِ اللقاءِ مبكرا، ربما أنانية من ريشة، لكنها لم تستطِع مقاومة لذةَ الشعورِ بي، ها هنا في عالمِها الخاص، فسحَرت وجودي وبات ضربا من الخيال السحري، لكنه رغم ذلك كانَ غايةً في الجمال.

أمّا عن الريشة، فناعمة مثل مشاعِرَها وخفيفةٌ مثل خِفةِ كلماتِها، وقعُها أثر أزليٌ، بخُطاها بلسم للألم، وبملمسها الوجع لا ح، ريشةٌ على رأسها ريشَة، فيها تنجلي كُلُ الجراح.

وقلمٌ كان يمضي تاركا خطَّ الرصاص، والتقى بريشةٍ قد جفّ منها ماؤها، للحظةٍ تمنى القلمُ حَبلا وريديا، ليقطعَه، ويعطي من نزيفهِ انسكابَ الرصاصْ.

نعم، هكذا كانت بداية القصة وهكذا ابتدت حكاية قلم "جواد" وريشة "لارا" فامتزجت خطوطُ القلم مع تموجِ الريشة فكان هذا الكتاب "قلم وريشة".

كانت تستهويني الكتابة، أو كانت الكتابة ذاكَ النمط من التعبير الذي يريحُني... فكانَ تعبيري غريبا بالنسبةِ للمجتمع وحتى لعائلتي، فكم هو غريب كتابة كلماتٍ على ورقة وتمزيقُها بعد الانتهاءِ منها، لكنها كانت تشكِلُ لي تلك الراحة النفسية أو بديلًا لتلقي علاج نفسي أو حتى تناولِ دواءَ أعصاب أو اكتئاب.

كنتُ منحازا إلى التعبير الحر في كتاباتي، وأُزيِّنُ تلك الكلمات بإيقاعٍ موسيقيّ لتصبحَ كتاباتي أبياتاً شعرية تحمل الكثير من العواطف والمشاعر، السلبية منها والإيجابية.

كنت أعيشُ مع عائلة تقليدية مؤلفة من أخي الوحيد وأخواتي الخمسَة، وأمي *"أرزة"*وأبي "نزيه"، ذاك الأبُ الظالمِ في عقليته القديمة، ولعل اقربُ من كانت إلى روحي، أختي التوأم *وردة* والتي كنتُ أشكو لها أحزاني ومعاناتي مع أب لم يفهمني يوما... ذاك الأبُ المزارعُ المحافِظ والمنغلق على ذاتهِ وأفكارهِ والمصاب بنوعٍ من جنون العظمة المبكرة، هو أبٌ مسؤول تلك المسؤولية الجائرة والمسؤوليةُ غير المسؤولة عن مشاعرِ الآخر.

أمي التي تزوجت في عمرٍ مبكر زواجا تقليديا بحتا والتي تلعب دور الأم بجميع ما تحملهُ من مميزات الأم المثالية من صمودٍ وحنانٍ وديبلوماسية....تلك الدبلوماسية التي حافظت على علاقة زوجها بأولاده محاولةً ترقيعَ أفكارهِ وتوجهاتهِ ومعتقداته لتحفظ الاحترام الدائم له وتحفظ تلك العلاقة التي بالعادة يجب أن تجمع أب بأولاده ولو على حساب تعبِها النفسي الذي كنت أفهم جدًا تفاصيله. لعل زواجَ "أرزة" الذي دام لأكثر من خمسة وعشرين سنه، قد زودها بفن التعايش والتأقلم مع زوجها الذي تكنُ له حبًّا واحترامًا

يفوق الأوصاف. كيف لأحد أن يكون بصبرِها؟ في بداية سن البلوغ بدأت أفهم معاناة أمي مع عقلية أبي المعقدة والصعبة... تلك معاناة أو ما تعتبرهُ "أرزة"... سمنٌ على عسل.

هو سنُ البلوغ لأنه سن الوعي على الأشياء والأمور.. لم أعد أنا أعيشُ الآن بتلك الخستِهِ الخضراء.... قد عرفَت أن هذه ليست صورة الأب المثالية....لكنني اعتدتُ السكوتَ والكتمان أمام أفكار أبي ومعتقداته، أو ذاك ما حصدتهُ من دبلوماسية والدتي والعادة التي تربيت عليها والتي تُشكل قِيما ثابتة بالنسبة لأُسرتي. لم أكن أعرِف أن سنَّ البلوغ هو سنٌ أليم، من الصعبِ أن تكون شخصا واعيًا يرى ما كانت الأمور عليه، لكن التعوُد على الكتمان صعب، بحيث ترى أن مجرد مواجهة الحقيقة ومحاولة تغيير الواقع يستنزف من روحكِ الكثير والكثير.

أيام من الوجع المكبوت والروتين القاتل في المنزل....يذهبُ أبي صباحا إلى عمله لا يعود إلا وقد خارت قواه من التعب...يعود آخر النهار بوجهٍ عابسٍ على الجميع، تلاقيه "أرزة" بوجهٍ يسودُه التوتُر والحب في آن واحد، ترتبكُ وهي تحضر له طعاما أعدته طيلة النهار وتضعه أمامه أمام الطاولة، أسمعُ حديثًا يدور بينهم وهو حديثٌ روتينيّ تعودتُ أن يكررهُ بشكل دائم.... الأسعار غير جيدة والانتاج ضئيل....

هي جملة لطالما سمعتُها من والدي.. كانت تحفِر في قلبي الكثير من الوجع، هو وجعٌ على أمي التي تتحملُ دائمًا الضغوط التي يضعُها عليها حتى وإن لم تكن حقيقية، وكأنه يريد دائمًا أن يجعلها تعيشُ دورَ المرأة التي يجب أن تشعُرَ بشكل دائم بزوجها المُتعَب وكأنها كتلةٌ من جلمودِ صخرٍ، خالية

الاحساسِ والمشاعر. لا شك أن أكبر صراع ممكن أن يعيشهُ الإنسان هو صراعُ الأجيال، لأنه الصراع الذي ينهشُ داخله، دون قدرتهِ على الانفجار، لقد تعايشنا جميعا مع عقلية أبي الصعبة وكانت هذه المشكلة، لم يكن علينا التعايش كان علينا المواجهة من البداية، أسئلة كثيرة كانت تدور في رأسي، هل نحن ضحية عدم قدرتنا على المواجهة؟ أم نحن ضحية احترام زائد عن الحد؟ أسئلة كانت بلا اجابات...قد فات الأوان الآن. كانت رؤيتي لأمي "أرزة" بذاك الصمود أمام الانهيارات في داخلها أكثر ما كان يقهرُني ويجعلني اثور أكثر وأكثر، ولكن نظرةٌ كانت ترتسم على وجهها كانت تجعلني أُهَدِئ روعي وبركأني الداخلي. أبي هو ضحية.... وهو ليس شخصًا سيئًا، ربما هو ضحية مرضٍ نفسي أو ضحية طفولة خشِنه، تركت لديه شعورا عكسيا بالانتقامِ والقسوة. كنَتُ أعيشُ حياةً متوسطة في إحدى القرى اللبنانية في منزلي الذي يحتلُ موقع استراتيجيا من حيث الهدوء والابتعاد عن صخبِ السيارات والباعة وأصحاب المحلات...و لكن ضجيج المنزل والعراك الدائم، كان يفسدُ الهدوء الذي كان يستهويني، عراك، صدام..... روتينٌ قاهرٌ من المشاكل وعدم قدرة أيّ أحد من أفراد عائلتي على امتصاص تذمرِ الآخر وشكواه. لطالما أحبّبتُ الأمور المتوسطة فهي بنظري خير الأمور، فلا ضيرَ أن أكون بمعاشٍ متوسط مع أسرة متوسطة الدخل وعمل متوسط بدأت به حتى قبل تخرجي بدوام جزئي والذي كنتُ أنالُ منه راتبًا كان يكفيني لأشعر بالاستقلالية المادية لأول مرة في حياتي. لا بأس أن أرى نهاية كل شهرٍ مبلغا بسيطا من المال إذ هو حلمٌ كبير لبعض العاطلين عن العملِ من عمري..

لكنني كنت رجلا صامتا، هذا ما يعهده الجميعُ عند التكلم في سيرتي، الصمتُ الذي كان خَجلا وضعفا تارةً وانكسارا تارةً أخرى، ذاك الصمت الذي حولتهُ بعد دخولي في عمر الرابع والعشرين إلى صمتِ الهيبة والغضبْ والثورة.....المؤسِف أن الوقتَ الذي حاربتُ فيه وانتصرت وواجهت الظلم وأعلنتُ ثورتي على المجتمع والعائلة وبدأت فيه بتكوين شخصيتي وحياتي واستقلاليتي....ما كان ضحيتهُ إلا استنزاف للعمر الذي من المفترض أن أكون فيهِ في أوج قوتي وصلابتي.

ماذا بعد؟ .. اختناقٌ وضيقُ نفَس.. ها أنا اخسرُ من جديد
من بخاطري يُجبِر .. أو من بجنوني مُجبَر
من سبقَ أن غامرَ في هولِ الأمواج!.. من خبِر قبلا الألم افواج!
من يفهمُ تنهيدةَ مظلوم .. أو مثلي من الحنانِ محروم
ماذا سيبقى من كل هذا سوى فُتات روح .. و اسوداد أسفل العيونِ وآثارُ جُروح
من لاقت طيبته حجرا متين .. ألقاه زمنٌ وارداه يتيم
من يفهمُ تِلك الكلمات كيف كُتبت .. من يفهمُ فيضَ الجراح كيف سُكِبت
من لاقى ظُلما في الحياة .. و الظالمُ كانَ قريب
من قد عاش في الحياة .. حيٌ والجوُ مُميت
من ميلادُه في تشرين .. وتحطمت آمالهُ في العشرين
صمتٌ قد حز روحه .. وصادق حد السكين

كثيرةٌ هي الأمور التي كانت تشغلني..... فقد كنت شخصا يؤلمني كثيرًا ما يحدث حول العالم من حروب ودمار وفساد للطبقة السُلطوية وكان حلمي الدائم أن يكون هناك عدالةٌ اجتماعية والتي بنظري لم تكن لتتحقق إلا بوجود نظام علماني يحترم حقوق الجميع ويعيد تقسيم الطبقات الاجتماعية من جديد ليدحر الاغنياء والفاسدين ضمن نظام قضائي عادل وتعاد حقوق الفقراء إليها .... ولكن أيّ أحلام هذه؟ لم أعهد الاستسلام لكني نطفة بين ذئاب طائفية في بلادي.

مع الاسف الخلل الكبير في هذا الأمر هو لغطٌ بالمفاهيم فحين نقول بلاد علمانية يتتطرق إلى اذهان أكثر من نصف الناس بلد غير ديني....و هذا الأمر يثير حساسية كبيرة بين اوساط الناس فتصبح فجأة الملحد الكافر وقد يتهمك البعض بالعميل... على عكس ذلك كنت أرى أن العلمانية هي الحافظ الوحيد للدين من التلوث السياسي والشعبي والمالي وحماية للدين من الاستغلال من قبل جمعٍ من الناس أو بعض المتدينين ادعاءً...و قد كنت شخصا يسعى بشكل دائم للوصول إلى الالتزام الديني الصحيح الذي أعتبره أمر يخصني وحدي، ولا أحد له الصلاحية بالتدخل في هذه العلاقة الروحانية التي تجمعني بربي .

في ظل كل هذه التراكمات كنت أذهب إلى عالمي الخيالي، لأنفصل عن كل هذه الأفكار الهدَّامة فأقوم بقراءة مقالات وُضعت على صفحات الانترنت، بعضها العلمية والاجتماعية وبعضها ما له علاقة بالتخصص الجامعي الذي

أدرسه في مجال العمل الإنساني بحيث أصبحتُ في السنة الرابعة وعلي أن أُقدِّم رسالة البحث الخاصة بي، وأخيرا أبدأ بجزئي المفضل بقراءة رواية وكثيرًا ما كنت أقطعُ أحداثَ الرواية بسبب ضجيج في المنزل وصوتُ خرير ماء آتٍ من المطبخ أو ربما أحيانًا بسبب صوت الهواء في الخارج....

ولم تكُن بصدفة أني كنت أُتابعُ مقالات لإحدى الناشطات في مجال الكتابة الأدبية فكنت أتقصدُ الدخول كل أُسبوع إلى المدونة التي تحوي هذه المقالات، فتاة لم أكن أعرفُ عنها شيئًا إلا تلك الكتابات التي كانت تستهويني، الاجتماعية منها، والعاطفية على وجهِ الخصوص فأنتظرُ بشكلٍ مستمر كل أُسبوع لمعرفة كل ما هو جديد، أو على أصدق تعبير لاستكمال تطفلي الأدبي.

كانت فتاة تُدعى "ريشة" وجُلّ ما كنتُ أعرفهُ عنها هي تلك الكتابات العميقة التي كانت تكتبها ونقدها الدائم للسياسة والنظام المتبع في البلاد وإلقاء الضوء على قضايا اجتماعية كانت تهمني وتحتاج جرأةً لفتحِ النقاشِ بها، وأكثر ما كان يلفتني هي الكتابات المُبطنة التي تحوي المشاعر المتفجرة في أوراق ونصوص.

كنت متلهفا جدًا لمعرفة ما وراء كتابات ريشة، ما سرُ تمكنِ كلماتها من الدخول إلى أعماق الروح كأنه نوعٌ من الولوج إلى ما ورائيات روحية لا يراها سوانا.

لعلَّ ما جذبني أنني أيضًا من عشاق الكتابة والشعر، ولو أن موضوعات كتاباتنا مختلفة، فقد كنت أميلُ إلى كتابة الشعر الغزلي وهي كانت تحكي

بكتاباتها عن معاناةٍ ووجع وحب. ولعل ما يجمع كتاباتنا هو هذا الكم من العواطف النابعة من صميم القلبِ والذاكرة.

لم ألتقِ بريشة يوما ولم أرها أبدًا، وقد فوجئتُ مؤخرًا بأنها تتابع دراستها بنفسِ الجامعة التي كنتُ أذهب إليها، وقد عرفتُ ذلك من خلال المظاهرة الطلابية التي كنت أقرأ عنها بالانترنت والتي انطلقت للمطالبة بحقوق الطلاب بعد قيام المحاضرين بالجامعة بالإضراب المفتوح للحصول على حقوقهم وتعطيل السنة الدراسية في الجامعة، فلم يكُ من نظّم هذا التجمع الطلابي سوى تلك الفتاة نفسُها التي أقرأ لها مقالاتها أُسبوعيا، وعلى الرغم بعدم التقائي بها، فقد وضعتُ بمخيلتي صورةَ تلك الفتاة جامعا ما كنت قد قرأته من خواطرِها وكتاباتِها، و كأنها فرصةٌ من السماء، هذا ما كان يدور في رأسي، فرصةٌ للتعرفِ على تلكَ الكاتبة في زمن أصبحت فيه الكتب قطع "انتيكا "ملقاة على أرصفة بيروت وتكاد تصبح منقرضة، فكيف بشابٍ لا يشربُ النرجيلة ولا السجائر ويستبدل فنجان القهوة صباحًا بكوبِ الحليب، ويسمع أغاني فيروز ليس فقط عند طلوع الشمس بل مساءً أيضًا، ماذا إن كان أيضًا يقرأ كتاب؟ شعوري لم يفارقني بأني ذاك الفضائي الذي جاء لكوكب الأرض بعاداتهِ غير المألوفة والمشبعة بالغرابة .

قد تعبت من أصدقائي النمطيين ربما، أو أحتاج من يشبهني بغرابتي، أحتاج إلى شخص لا ينظر إليَّ تلك النظرة التي تقول "يا للهول "فحتى عائلتي تفعل ذلك....

ربما وجدتُ ذلك الشخص، هي تلك الفتاة الكاتبة الطموحة، كان إعجابي يزيدُ مع كل كلمة أقرأها من ريشة، وكنت أبتسم لهاتفي كمجنونٍ فقد

صوابهُ.. لربما هي الصديقة الأولى أمام كمٍ من الأصدقاء التي تكتب وتقرأ الكتب.. نعم أنه لأمر نادر، تشابهٌ كبير بيننا أو هو نوع من التقدير لنفسي في زمن لا تحتلُ فيه القراءة والكتابة هذا الاهتمام من العامة.

وكانَ أولُ حديثٍ بيننا، هو انفجارُ جراتي للكلام معها، فقد تكلمتُ معها عبرَ اتصالٍ هاتفي محاولا أن أسألها عن المظاهرة التي يقوم بها طلاب الجامعة، أو كانت تلكَ كانت هي الحجةُ الوحيدة لمكالمتِها، وذلك بعد أن انهيتُ المحاضرات الجامعية وعليّ الآن تحضيرُ رسالة تخرجي من المنزل، فلم تكُن هناك فرصة لألتقي بها في الجامعة سوى عن طريق تلك المظاهرة التي كانت ستُقام بعد أيام معدودة... علهُ وعسى بعدَ هذا اللقاء أتشاركُ مع تلك الفتاة بعملٍ أدبي أو مقالات اجتماعية تلبي نداءَ الطبقة الكادحة في المجتمع وتوصِلُ أصواتَهم.

ولم يكن الأمر بالصعوبة التي كنتُ أتوقعُها، فقد بدأت ريشَة بالكلام عن المظاهرة وحاجتِها للدعم البشري لإنجاحها، فقد عهِدنا في مواقفَ مماثلة طلمسة العديدِ من الطلاب، وإعطاء أفضلية لساعة واحدة من النوم على الخروج صباحا والمشاركة في حركة طلابية متواضعة..... لربما ضغط المواد هو سيد الموقف فلطالما حظيت الجامعة اللبنانية بلقب عزرائيل أو ملك الموت لكثرة صعوبة المنهاج والمواد المتراكمة، لدرجة جعلت الطلاب فيها يشبهونَها بهذا الشيء.... ولكن لهذه الحالة، هناك قسمٌ آخر من الطلاب أكثر وعيًا لكيفية جري الأمور ومحاولة تعطيل للتعطيلِ نفسه، الذي يمارسهُ بعض المدربين في الجامعة... حقا هو ليس ذنبهُم أقصِدُ المدربين، لكنه ليس ذنبنا أيضًا كطُلاب، والأجدرُ هو معرفة أقل الأمور ضررًا.

بدأت بالتنسيقَ مع ريشَة في موضوعِ المظاهرة، وكان ذلك عبرَ الدعوة التي انطلقت عبر مواقع التواصلِ الاجتماعي لجميع الطلاب، للمشاركة بهذا التحرُك... في هذه الأثناء كنتُ منبهرا للحماس والأمل بالتغيير الذي بدا على تلك الفتاة دونَ أن أنسى بتاتا أن غدا هو الموعِد الأُسبوعي لكتاباتها...
سرعانَ ما دفعني فضولي لتجاوزِ موضوعِ الكلام فلم يكن الحديث الذي دار بيني وبينها قبلا، سوى للمناقشة بالمكان والزمان والتنظيم للمظاهرة، ولم تكن هناك فرصةٌ جيدة للتعرف أكثر على ريشَة والتكلم قليلا عن كتاباتها ومقالاتها، فبدأت أفكر أنها الفرصة المناسبة للتكلم معها في هذا الموضوع، فإن لم يكن ذلك عبر لقاء بيننا فلا ضير من الكلام البعيدِ عن أيّ لقاء.
وكان الحديثُ الأول بيننا والبعيدُ عن أجواء المظاهرة كنوعٍ من كسرِ الجليد، ولكن هذا الجليد كانَ كالذي يُلصِق الأجسام بعضها ببعض من شدةِ قُوته، وهذا ما فعله بقلم وريشة.
كانت ريشَة تعيش في منزل في نفس المحافظة التي أقطنُ بها، في منطقة ضيعوية لم يفسدها بعدُ تمادي التمدُن وصخبُ الانفتاح المنغلق، فتاة بعمرها العشرين ووعيها الستين، الفتاة التي لطالما تمنّت أن تصبِحَ صحافيةً أو إعلاميّة منذ صِغَرها، وأن تُلقيَ كلاما غريبا على مسامعَ المشاهدين.
تستشهدُ صدقَها في الوصول إلى ضمير كلّ مواطن مظلوم، في الوقت الذي كان رفاقها يقولون لها دوما إن الإلقاء والحوارات الجديّة تليق بها، لأنها تمتلك شخصيّة لا بأس بها، ووجها صارما بعض الأحيان.

لم يكن طموحُها يوما أن تُصبحَ مشهورةً وتظهرَعلى شاشات التّلفزَة، بل كلّ ما أرادتهُ أن تناقشَ القضايا التي تمسّ المجتمع على مختلَفِ أصعدتهِ من أجل الوطن فقط لا غير، حيث زرع والدها حبّ الوطن والوطنية في قلبها وكان دائمًا يقول لها "الوطن للفقراء والوطنية للأغنياء "، إلا أنها الآن قد اختارت اختصاص علميّ بعيدا عمّا كانت تتوقُ إليه، ويلهفُ له قلبها منذ الطّفولة أو ربما حسب قولِها هو اختيار الله لها اختصاصٌ لربما وجدهُ يليقُ بها ويزيدُ من حسناتها فجعلها ملاكا من ملائكة الرحمة، هي مهنة التمريض، لأن الصحافة تقتضي قسطا لا يُستهان به من الصدق في وطنٍ أكثر ما فيه صادق، هو كذبة الديمقراطيّة وخرافة الحُرية.

كانت السياسة في الوطن تفوق عُمرها كثيرًا، لكنها كانت أقبح رواية من الروايات التي عشِقتْ قراءتَها.. وكانت تظنّ أن كلمة الحق لا يُعلى عليها إلا أنها أخطأت وجلَّ من لا يُخطِئ! فالواقع دليل حيّ على تشرذمِ الحقيقة وضياع الحقّ وإحقاق الباطل. باتَ المصير معلّقا بكلّ ما يحيط بهِ من شتات، ما عدا جذورهُ الأساسية وهي الآن تحمد الله كثيرًا لأنها لم تدخُلَ معمعَةَ الكِذب، بل في اختصاصٍ إنساني لن تندمَ يوما أنها اختارتهُ.

كانت ريشة تعرفني باسمي فقط، الاسم الذي كان يتكررُ على مسامِعها بين طلاب الجامعة بصفتي الشاب المنسق لأنشطة الجامعية، والذي كان يتابع دراسته الجامعية في مجال الأشراف الصحي الاجتماعي، ربما هذا ساعدها كثيرًا بالوثوق بي حتى قبل أن تراني وسهّل عملية التعبير لديها...فأنا لست

الطائش الغافي...قد وصلَها على اغلبِ حال صيتُ غرابتي والجديةُ التي اتمتع بها في مواقف لا تحظى بالجدية بين اوسطةِ الشباب..

بدأت صداقتُنا بالازدهار كشجرةٍ جذورها في باطن أرض لبنان وغصونُها تلّف الكون، ضحكنا وسمعنا الموسيقى، نثرنا همومَ صدرِنا لبعضنا، كاننا بذلك نعيدُ الزمنَ للوراء ونلعبُ بعدادِ أعمارنا، فنعايشُ عمرَ الاربع سنوات سويا، طفلةً ارعنةً وصديقُها الارعن، قادمان من وطنِ النجوم لاليا ابو ماضي، فقادهما جنون القصيدة تلك إلى الجنون الأعظم، جنون العقلاء.

بينَ أخذ وردٍ في الحديث، بدأت ريشَة تسردُ لي قصة كتاباتها، العاطفية منها وهي نتيجة قصة حب عاشتْها، وقد أدركت مؤخرا أنه كانَ مجرد أعتياد أو أنه كان ملجا وحيدا لها في مراهقتِها وبداية بلوغِها، لم تكن بالقصة الاعتيادية، قصة نراها أو نصادفها كل يوم، بل كانت كتلك الروايات الغريبة التي تروى ليلا على مسامع العشاق لادخال الرعبِ إلى قلوبهم الواهة أو نوع من اختبار مدى تمسكهم ببعض.

لا أعرف لما أقول، أنه أمر جيد، ولكن قصتَها أصبحت من الماضي وهذا الشخص لم يعُد يعني لها شيئًا وأبرزُ ما يحدد هذا الموقف، أنها بمقدارعدمِ قدرتِها على محبتهِ فهي لم تعد قادرة على كرههِ حتى، وهذا أقصى حد ممكن أن يصلَ له البرودُ بينهم.

ريدا :

لم تكن قصتي بالسهلة أيضًا، فقد عشتُ قصة حب قصيرة بأثر كبير، تركتْ تلك القصة ذاك المستوى من الحب الذي إذا ما وصلتُ إليه مجددا فأنا لن أحبّ من جديد.

كانت فتاةٌ تدعى "ريدا" والتي عرفتُها خلال سنتي الأولى في الجامعة لم أكن من الأشخاص الذين يدخلونَ بسرعة بذروة العلاقات العاطفية، فرغمَ حبي الكبير، لم أبادر يوما بالتعبير لها عن مقدار إعجابي، فكنتُ تارةً أراقبُها من بعيد وتارةً أتجرأ بكلمة "صباح الخير "والتي كانت تشكل لي معضلةً كبيرة.

و يدور وقتها في ذهني سؤال "لما هي الوحيدة التي يشكل إلقاء الصباح عليها هذا المجهود نعم.... الجواب سهِل، ربما هي عملية بيولوجية لا أكثر، أوامر الدماغ تخالطت ما بين الأوامر الملقاة على القلب الذي ثار على تنفيذها وأصبح يخفق بسرعة غير اعتيادية، وما بين حركة اللسان التي ستلفظ كلمة صباح الخير.... نعم كنتُ في ذروة الحبِّ معها. مرَّت أعوامي الثلاث في الجامعة على هذه الوتيرة، كنتُ ضحية تردُد، وضحية تلك الشخصية الخجولة والضعيفة التي زرعها والدي منذ طفولتي، لم أقوَ على التعبير عن مشاعري حتى.... أنني أعيش لأول مرة قصة حب حقيقية بعد قصص المراهقة والطيشنة العابرة... أدركت في أوجه صراعي الداخلي ما بين شخصية تكونت وشخصية وددتُ تغييرها، مدى تعلقي بريدا، الحب الصامِت الذي لن يتكررَ معي والذي لم أعد أريدهُ بعد أن يكونَ صامتا. نعم، لم أعد أريد هذا الصمت، فهو صمتٌ جميل وموجِع، فكيف الصمتُ أمام بريق عينيها في كلمة صباح الخير، وكيف النجاةُ من تلك التعويذة التي تلقيها عليه في إشراقة كل صباح.

في أوائل شهرِ فبراير استطعت مكالمةَ "ريدا"،و سرعانَ ما بدأنا الكلام وتبادلنا الحديث.

كان لديَّ وقت قصير لأعترف لها بحبي، نعم وقتٌ قصير فقط لأفجِر لها كبتَ ثلاث سنوات في الجامعة، هي أحد عشر يوما فقط ليكون التاريخُ بعدها هو الرابع عشر من فبراير. هو عيد الحب. توقيت كان له صدفةٌ خاصة أردت انتهازها وجعل الموضوع أكثر رومانسية وحُب.

دقت ساعةُ الصفر، هو الرابع عشر من فبراير، قد جمعت قوةً هائلة ممزوجة بالحب والأرق....قلبٌ يخفق بسرعة هائلة، تنميل في كافة أنحاء جسدي، هي ليست مُجردُ ساعة الاعتراف بالنسبة لي، هي ساعة الخلاص، هي ساعة الانفجار، هو وقت مواجهة نفسي وشخصيتي .

و أخيرا اعترفت لها بحبي، ردت "ريدا" بصوتٍ خجول :

" في هذا الوقت القصير؟ "

لم تعرف "ريدا" أن حبي لها ليس وليدَ شهر تكلمت فيهِ معها، قد أحست أن تقربي منها كانَ سريعا وهي فترة قصيرة لأقع بحُبها، بدأت أفكر أن سؤالها منطقي من ناحيةِ أدراكها ولكن أين المنطق بإدراكي أنا؟

هو ظلمٌ أن لا تعرِف وهو أمر لا يصدَق إن عرفت.

اعترافي بمشاعري لريدا قابلهُ ردة فعل إيجابية من ناحيتها وعبرتْ هي الأخيرة عن إعجابها الكبير بي وطلبت مني التعرف بداية على أختها مايا

التي بدَت هي الشخص الأكثر تقربا لريدا بالعائلة.. ولم أتردد بالموافقة على طلبِها.

فرحتي كانت لا يحتويها العالمُ باسره، كانتْ مشاعرُ الفرح تتجلى على شكل قصيدة كنتُ أكتبها وأرسلها لها في كل مرة اشتاق إليها.

بالراءِ راحةٌ أبديةُ الحُـــدود ** بالياءِ إليكِ الياسَـمينُ يعود
دالٌ هوَ دربٌ وحُلمٌ كـــبير ** ألفٌ أنوثةٌ بحضورِكِ تَسود
أوهي ريحانةٌ عن نبضي تنوب ** ياقوتةٌ أمامها الحزنُ يموت
دِفئٌ احتاجَهُ طِفلٌ شريد ** والماسةُ أضافتْ للسِحرِ غُموضْ

لم تمُرَ البضعة أسابيع، وجاءتني رسالةٌ من "ريدا" مفادُها أن عائلتها رفضت فكرة ارتباطها، فهي تخرجتْ وبدأت بالعملِ حديثا وقد استنتجتْ بعد أن تكلمت مع عائلتها أن فكرة الارتباط ليست أولوية في الوقت الحالي وطلبت مني أن نبقى أصدقاء، ورافقت نهاية الحديث بكلمة "أنت شخص رائع ولكن هناك العديد من الأمور التي تشكل لي أولوية قبل الارتباط " مثل ماذا؟ سألتها بنبرة لأول مرةٍ ليست كعادتها..... لم أدرِ ما تداخلت في أمواجِها، أهو إعصار من الغضب أو الصدمة أو ربما الخيبة؟

لم أدرِ لمَ بدأت "ريدا" جوابها بالتكلم عن السفر والرحلات والعمل ولمَ ربطت فكرة ارتباطها بانتهاء هذه الأمور؟ لم أعرف وقتها إلا أنني ضحيةُ نظرةٍ أنثوية للشاب العربي، لم تمت لتفكيري ونظرتي للأمور بأية صِلة.

شهور من البرود وعدم الاهتمام المتعمد، كانت كفيلة لانتهاء علاقتي بريدا واشمئزازي لما وصل إليه الحُب في وطن أقل ما يقالُ عنهُ أنه قاتلٌ للأحلام .
لكني أيقنتُ بعدَ مدةٍ أن اسمَها هو علمٌ، هو اسمٌ كباقي الأسامي يطلقهُ الأهلُ للأبناء، ليست ريشّةَ قلمي ولن تكونَ يوما، فوحدها تلكَ الثائرة من يحِقُ لها أن تكون كذلِكَ.
كانَ سَكْبا من الرصاصِ كلامي، لكنهُ سكِبَ من قلمٍ، كان يبحثُ عن ريشَة فوجدَ بحبكِ خِفّى، ولم تكن "ريدا" يوما بثُقْلِ الثائرة ريشَة.

العلامات العشرون :

بدَتْ ريشة مهتمةً بقصتي مع "ريدا"، بل ظهرَ عليها الاهتمامُ بكلِ حرفٍ كنت أقولهُ وأتلفظُ بهِ، قد أحست بذاكَ التشابه الذي شعرتُ به بامتلاكي صديقةً مثلها، لديها تشابه كبير باهتماماتي وهواياتي من كتابة وقراءة والتي هي الأخيرة كانت عاشقة لها، فقد كانت تتشوق لسماعِ قصيدة مني، أو قراءة مقطعٍ صغيرٍ من كتاباتي، كما فعلت أنا، هي لم تراني بعد وأنا لم أرَها، حتى أني لا أعرف شكلها الخارجي، هو الارتياحُ فقط ما كان يجمع صداقتنا وبعضُ التشابهِ الجميل، بجمالِ صدفة معرفتي بها.

سرعانَ ما بدأ الكلام بيننا عن الحُب، ريشَة تقول إن الحب يأتي من شعور عفوي بالارتياح لشخص تتقارب وتتكامل أفكارهُ مع الشخص الآخر، وهذا ما كنت أدعوهُ أنا بالإعجاب وليس الحب. فالحب يختلف عن الإعجاب ولا يمكن لأحد الشريكين أن يقعا في الحب بمجرد التلاقي البعيد بينهم، كنت أفكر أن الحب يبدأ بالإعجاب بالتفاصيل ويدعم هذا الإعجاب العِشرة والمواقف بين الشريكين فيكون الحب.

مما لا شك فيه أن ما كنا نتفقُ عليه، أن الحب شعور مقدس يحتاج الصدق والوفاء والتضحية.

ما كنت أفكرُ فيهِ أن الحبّ بمفهومه الشامل، هو القوة الكونية الثابتة، هي الطاقه التي نستمدُ منها جذور السلام. لا علاقة ناجحة دون حب، لا سلام دون حب، لا طمانينه بلا حُب، حتى في أبسط أمورِ حياتِنا، في تواصُلنا، في تبادُلنا الأحاديث، في نشاطاتِنا اليومية أيضًا، الطعامُ سيفسدُ إن لم يتم

إعداده بحُب، وإن دخل أحدهم تخصصا لا يحبهُ فإنه سيفشلُ فيهِ مهما حاولَ المُثابرة، الحب هو العناية، هو الاهتمام والاحترام.

و لكن هناك أمر واحد يكون فيه الحب خطيئة، وسيصبح نقمه لا تُغتفر، وذلك حين يكون هذا الحب موجها للنفِس، الحب الوحيد الذي يقود إلى الجحيم هو حبُ النفس، وإني لا أقول أنه لا يجب أن أحبّ نفسي، كلا ليست هذه بجريمة، ولكن يجب أن أستمِدَ محبتي لنفسي من محبة الآخرين... كيف ذلك! عملية بسيطة.... إن أحبّبتُ نفسي فإني أتمنى أن أنتزعَ الابتسامة عن وجهٍ آخر لأضعها على وجهي، أما إذا نبعَ هذا الأمر من محبتي للآخرين..... فإني بابتساماتهم... سأحُب نفسي.

انتهى النقاش بيننا بحيث بدا على ريشة استعدادَها لتغيير مفهومِها عن الحب أو لتعديله وكان كُلُ ما يدور في رأسي حينها، أن ما بيني وبين ريشة هو الإعجاب .

نعم، أنه الإعجاب فأنا معجب جدًا بـ "ريشة "وسعيدٌ بذات الوقت لأني عرفتُ حينها أني تخطيتُ مرحلة كانت صعبة في حياتي، وهي علاقتي السابقة بـ"ريدا".

مرَّت الأسابيع بيننا، روتينٌ قاتِل في المنزل، تصادم وعراك وصراعٌ ينتهي ببعض المودة التي من المفترض أن تسود، فقد لأننا بأجواء العائلة....و يبقى كل شخص لا يفكرُ إلا بهمومهِ وعملهِ وما يريدُ أن يكون عليهِ، لم يكُن باستطاعتي قراءة ولو مقطعٍ بسيط أو كتابة موضوع ما في ظل كل هذه الضوضاء والهستيريا العائلية ....

بدأت أفكر أن عليَّ إيجاد هذا الحضن الأمن، الذي يجب أن يحتويني عند ممارستي لهواياتي التي تشكل لي راحة نفسية، هو مكان كنتُ أهربُ إليه حيث الهدوءُ والسكينة ولا شيء ليزعجني.كنتُ أقطعُ عدة كيلومترات للوصول إليه، ولكني أتذكر أنني عند الوصول، كنت أصل إلى أعلى نشوةٍ للقراءة ممكن أن أصل إليها، هناك حيث الطبيعة والهدوء، حيث الملجأ لكلِ هاربٍ من عاداتٍ وتقاليدٍ عائلية أو ربما هذا فقط ما كان يرِدُ في تفكيري. كانت هناك مسافةٌ أيضًا عليّ اجتيازُها مشيا على الأقدام، مسافة قصيرة هي، وأنا أحمِلُ كتابا أحضرتهُ معي لِأقرأه.

لم تفارقني نظراتُ العالم الغريبة أو ربما فقط نظراتهم لكتابي.... كنتُ أشعر بالفرح ولم تزعجني هذه النظرات بتاتا، فأنا أعرف جيدا أن الإنسان يحتاجُ إلى ملايين السنين للوصول إلى التصوُف في القراءة، وهذا ما كنت أصل إليه أنا في هذا المكان.

عدتُ للمنزل مساءً بشعورٍ غريب، وكأنه شعورٌ متكرِر، بدأت أتساءلُ في نفسي عن ماهية شعوري حينها ولما أظنني مررت سابقا بتلك النشوة التي أحسستُها في هذا المكان في هذا اليوم تحديدا".

إنه ذات الشعور.... لم أدرِ لمَ ذهبتُ تلقائيا نحو هاتفي وتكلمت مع ريشَة؟، إنها **العلامة الأولى**، الإعجاب، بالرغم من أني لم ألتقِ بها إلا أنني رأيتها من خلال قلبي فتاةً رقيقةً حساسةً طموحةً وذكية وكان علي أن اصارِحَها بذلك.

نعم قد رأيتها من خلالِ قلبي...جميعُنا يعرِف أن الله قد وهبَنا نعمة النظَر من خلال العيون، تلك العيون التي نرى فيها الكونَ على هيئة اشكالٍ

هندسية ومساحات وزوايا ولكن من مِنا يعرف تلكَ النعمةَ الخفية التي تفوقُ قوة العيون في الإبصار؟

انها نعمة القلب، النظر من خلال القلب، فالعيون ستُمكننا من رؤية محضِ اشكال، ولكن قدرة القلب تكمنُ في رؤية المشاعر، رؤية النفوس، رؤية الذات والشعور وفي حال فقدان تلك النعمة فقدنا إنسانيتَنا وفقدنا قدرة الاحساس، بل وفقدنا قدرة البصَر الحقيقية. نحنا لا نرى بأعيننا بل نرى بقلوبنا.

و بالفعل لم أعد أواجه مشاكل في التعبير عن مشاعري هذه المرة.... اتصلت فيها وبدأت الحديث معها

- لقد افتقدتك اليوم.....
- أين كنتَ؟ تجيبني ريشة
- في الطبيعة أقرأ كتاب
- أيّ كتاب؟
- قواعد العشق الأربعون
- مثير للاهتمام، أنصحك بإكمالهِ للأخير
- لابد وأنَّكِ قرأته!
- ومن أجمل ما قرأت تجيب بصوت بدا يدخلُ إليه الحماس
- حسنا أريد إخبارك بأمر يخطر ببالي
- أنت معجب بي؟

اندهشت من جوابها؟ إنها هي صاحبة الإجابات غير المتوقعة، قلتُ في نفسي.

- وما أدراكِ بأني معجب بك؟
- جاوبني أولًا. تجيبني بثقة.
- حسنا، أنا معجبٌ بكتاباتك وتفكيركِ وأسلوبك... شخصيتكِ المميزة، قولي لي الآن ما أدراكِ؟
- لأني شعرتُ بذلك أو ربما لأني أُبادلُك ذات الشعور.. أنت شخصٌ محترم مميز ومختلف، وليس غريبا أن تعجبَ بكَ أيّةُ فتاة.
- حسنا إذًا، إنها العلامة الأولى قلتُ لها
- أية علامة؟ تجيبني مندهشة!
- إنها العلامة الأولى من العلامات العشرين وليس مجرد إعجاب عابر.
أقفلتُ الخط دون إضافة أيّ كلمة، بشعورٍ كبيرٍ من الفرح، قد مرَّ وقت كثير لشعوري بهِ.
قد عرفتُ بلحظةٍ ماذا أريد ** وسألتها والجوابُ ما كانَ بَليد
جاوبتني بهدوءٍ وبِصوتٍ خجولْ ** و نبَضي بحُروفِ الإجابة يزيد
من جوابِها أنا قد كُنتُ اكيد ** ولاخفاءِ الفرحةِ ما كنتُ أجيد
لسؤالي هذا جمعتُ قِوايْ ** ما كنتُ أدري أعصابي حديد

كلامٌ في فمي وقفَ على حافةِ الشِفاه وقال إن النزولَ انتحار والبقاءَ دمار، ما لي أشعر بتلكَ القشعريرة تُسرح شعري، وبرغبةِ اللقاء تهز الكيان؟

قد عرفتُ أن دعوةَ تِلك العجوز، التي قدمتُ لها ثيابا ذاكَ اليومَ في الصباح الباردِ، قد كانت مستجابة، فقد تركتْ رنينا وصدىً في أذُني يقول، فليعطيكَ الربُ ما تُحِب.

ما تُسمى تلك الطُمأنينَة التي تاتي فجأة من أشخاص يقطنونَ فجأة فوهةَ الاحساس؟

الثقةُ التي أجددُها كل يومٍ في المساء لفؤادي فاعرِفُ بانه في الغدِ، سينبضُ من جديد ولن يخذِلني، هي ذاتها الثقة التي كنت امنحُها لريشة، فتاةٌ قد جاءت من عالمِ الأحلام، خلوقةُ الطِباع مثقفةُ الفِكر، جميلة الروح، قد جاءت واستوطنت في عقلي واستانفت حركةَ قلمي الذي قد ماتَ منذُ أسابيع طِوال.

لم أعرِف حقا لمَ تحركَ قلمي بعد هذه المدة، كيف متى ولماذا؟.... فقد توقفتُ عن الكتابة منذ شهور، ولكني أعرف أن تلك الطاقةَ مستمدةٌ من ذاكَ اللغز في تلك الفتاة النادرة، التي دخلت قلبي دون إذن وأضافت بيرقا جميلا في يومي.

نبضاتُ قلبي أصبحتْ في تزايد مع حروفِ كلماتها، التي تجيدُ اختراق تجاويفَ الشعور بداخلي، أنه الحب النقي في داخلي الذي يتجردُ من الشكل ويعشقُ الروحَ قبل الجسد.

قد جاءت من صدفةِ القدَر، كماءٍ قد تساقط بعد شهورٍ من القحطِ والجفاف في صحراءٍ قاحلة، فملا تشققاتِ الأرض عبيرا وأنبتَ حديقةً من الأزهار والورود، فاعاد الحياة إليها من جديد.

هي تلك الفتاة التي قلَّ وجودُها، قد جمعتْ ما بين رُقي الفِكر وجماله وبين تلك الروح المرِحة التي تعطي في كل كلمةٍ تقولُها الحماسَ لسماعِ الأخرى.
دخلت إلى عالمي بصدفةٍ هي بنظرنا كذلك، ولكن كانَ للقدرِ رأي آخر.
ومن يعلم؟ لربما هي تلك الطيبة وأنا لها هذا الطيب.
نقطةُ تحولٍ في حياتي، ملاذٌ آمن وسرٌ دفين..... لم تعد الأمور مبهمة بالنسبة إليَّ أنا معجبٌ بريشة وهي معجبة بي، انها علامةٌ تظهر من جديد، **انها محبة الروح** فبالرغم من أني لم ألتقِ بها، فأنا أشعر بالارتياح معها، ولا أعرف لمَ لم يقلقني ما إذا كان وجهها محروقا ربما أو مشوه، أو كانت بشعةَ الشكلِ والمظهر وربما هذا هو ما شدني إليها أنها هي أيضًا أحبّت وأعجبت بي من خلال روحي وليس لشكلي أو لأجل المال الذي لا أمتلكه .

صُدفةٌ في الجِنانِ كـامِنة ** واستجابةٌ من دُعاءٍ عميقْ
من يصِفُ شعوري تلك الآوِنة ** و ما الوصفُ الذي فيها يليقْ
في عجائبِ الدنيا كنتِ الثامنةْ ** والعيونُ بوصـــفكِ زادت بريقْ

إلى أن أتى ذلك اليوم، وصلتني رسالة من ريشة كُتب في مطلعِها
" لغتك قصائد تذيبني... أكتب لكَ بذاتِ اللغة التي تريحُك.... فهل أنت هو المخلِص لي بعد قراءتك لقصيدتي؟ قلمٌ أنت، قلّما أجد له نظير، والنسبةُ انعدمت للآخرين، وفقط بوجودك أنتَ، كُسرتُ جميعُ المفاهيم، راق الحنانُ

في صوتِك، والعشقُ في الحركات الموضوعة على أحرفك.... فهل عاد الحب لأوطاننا؟ أعطني الجواب اليقين"

أكملتُ قراءة رسالتها، حقا هي اللغة التي أحبّ، والرسالة التي انتظر:

- أنا أنثى لا تؤمن بالحُبّ ، أعترف لا بل أشهد بأني أحيا به، لكنّي لم أجد إليه سبيل..

سبيل اللاحظ في نهايتهُ بريقا من النور، لم أكد ألمس وجوده في الواقع المرير، لأنّ كل ما حولي يحول دون الحبّ. لقد آمنت بالله دون أن ألقاه، لكنّي لمستُ وجودهُ بجمال ما أراه، وبقدسيّة الشّعور الذي اوْدعه داخل أعماقي أمّا ذاك الحب.... كفرت بمن كفَر بهِ، ليس لمجرّد قصّة حب انتهت بخذلانٍ أو بـ وردة بنفسجية ذابلةِ على خطّ نسيانٍ، بل بكلِ ما يشعُّ به العالمُ الآن ينبعث من ذرّات الكره الدّفين الذي أغرق الإنسان في بحور العدم واللّإنسانية.. وأبى أن يطفئ النّيران؟ لقد آمنّا بالكره حتّى عُمينا ونسينا أن وصيّة الربّ هي المودة والرحمة والحب. أنّ الدّين قبل أن يكون طقوس وشعارات هو الحب. لماذا باتت هذه الأخيرة كلمة زائفة لوثّها الدرب حتّى ارتطمت بكلّ ما حولها وباتت في سرب؟ فأنا أنثى لم تؤمن بالحُبّ إلا في أحلامها؛ لأنها تخطّ روايات هي من تحدّد أبطالها، ما الحُبّ سوى وجدًانيّة صادقة تعزف ألحانها بشيْءٍ من الخجل، ليست معزوفة العاشقين فقط، بل هي وجدًانيّة الحياة. أحياء قلب طفل صغير قد سقط أو تعزية أم ثكلى تنعى ولدها الّذي قضى في حربٍ سقط كل ما فيها إلا الحبّ الذي يرشدنا إلى إنهاء الحرب، لكن الكره خيّم على قلوب البشر في واقعٍ باهت كل ما فيه يمضي

ومضى فأين الحُبّ؟. لا ليس أيّ حب! ذاك الّذي سينقذ الإنسانية حتّى يردد الصّدى حيّ على خيرِ القدَر."

قرأت رسالتها بحذر..... هي الرسالة التي تقول بها بأنها لا تؤمن بالحب أو هي التي تسأل نفسها فيها ماذا يحدث لموقفي بعدَ معرفتي بكَ ؟

حي على خيرِ القدَر..... نعم قلت في نفسي هو القدر الذي نصنعهُ بأيدينا فأنا شخص لا يؤمن بالنصيب والقدر بالمنظور المتداول بين الناس في المجتمع، فما هي هذه الكلمات إلا مجموعة مفاهيم نتذرعُ بها عندَ الفشل وعدم قُدرتِنا على الاستمرار، فنرى ذاك الذي يقولُ بعد فشلهِ الدراسي... نصيبي.. وكان النصيب هو من قررَ مصيرَه الدراسي، أو بعد إصابة أحدهم بحادث سيارة بعد أن تجاهلَ جِسر المُشاة وقرر العبور عبر الطريق السريع فنراهُ على كرسي متحرك يقول قد كان هذا قدري... كلا، نحنُ نلعبُ بشكلٍ أو بآخر بصُنعِ هذا القدر، الأمر ليس تجاهُلا بالقَدَر الذي يعطيه الرب للإنسان إنما احتراما لهذا الأمر... نحن من نصنعُ قدرَنا من خِلال العقِل الذي وهبنا إياه الرب وهذا ما من المفترض أن تعنيهِ عبارة "الأقدار بيد الله" وليسَ عدلا أن نقول أن هذا قدرُنا عند أولِ فشلٍ نمرُ به في حين نرى مريضا بمرضٍ خبيث يعاني ويعاني ويواجه إلى أن تخورَ قِواه فيكون قدره الموتْ. هذا ما حدث مع صهري، خطيبُ وردة، لقد واجه المرض إلى النفَس الأخير. أن تقول هذا قدري يعني أن تكون قد فكرتَ وواجهتَ وثابرتَ وخارَت كُلُ قِواكَ في سبيلِ فكرتِك التي تقول أن القدر قد سيّرَها. لماذا أيضًا! لأننا نحنُ البشرْ مميزون بامتلاكِنا العقلَ والقلبْ، نعم القلب. كثيرًا ما يفترِقُ من كانوا يسمونَ انفُسهُم عُشاقا تحتَ مسمى القدَر أو النصيب، بعد شعورِهم

بالاستسلام أو أن طرفا منهم لم يعُد يريدُ استمرار هذه العلاقة فيُنهيها بشكلٍ جبان ويضع عنوانا عريضا ل فشلهِ وعدم صدقِه "ليس لي نصيب معك "

نعم نحن البشر استغلاليون للغاية، حتى أبسط الكلمات نستغلها، ونجعلُها تسير كما تقتضي مصلحتُنا، كالذي يتحدث بالدين مع أصحاب اللِحية الطويلة، أو في الخطابات السياسية الرنانَة.

اتصلتُ بها بعدَ قراءة الرسالة ....نعم أنا هو هذا الشخص ريشَة أنا من سيصنعُ القدر ويسير المصير ولكن قولي لي أنت من أنا بالنسبة لك ؟

تجيبني ريشَة بصوت خجول

- أنت جئتَ الدواء والعالم الجديد جئت بهيئة ملاك لترسم ابتسامة لم أعرفها ابدا، وصوتك هذا الصوت الذي يدغدغ حواسي يسحرني يأسرني، وابتسامتك تحبس أنفاسي"

- لربما قلب أراد زيارة نظيره ريشة قلتُ لها :

- ولربما طالت الزيارة فأصبح استوطان، تجيبني وكان صوتها تلك الذبذبات التي تصيب الإنسان بحالةٍ من الهوس .

- جاوبتها اهلا بمستوطني فان ذلك أحبّ على قلبي من شهد العسَل.

بدأت علاقتنا تكبر شيئًا فشيئًا، ضحكنا معا، كتبنا معا، سهرنا معا، حتى أصبحت جزءًا من يومي الذي لا يكتملُ من دونها وأصبحتُ أنا كذلك بالنسبةِ لها.

دائمًا ما كنت أعودُ إلى أمر ينقصُ بيننا....هو أمر يخيفني وتارة أخيفُه... هو كقطعة بازل ناقصة من صورة.....هو ذاك اللقاء...، هو لقائي بتلك الفتاة

"ريشة". نعم أفكر بهذا الأمر حين أُقنع نفسي بأننا أصدقاء وأنفرُ منه حين أرى أني وصلت إلى أقصى مراحل الإعجاب.....و كل ما ينقصُ هو لقاء.
قررتُ أن أطلب هذا اللقاء منها غدا صباحا، ويا ليلةً لم تمُر، قد سهرت طوال الليل أكتب قصيدة عما يدور في عقلي وقلبي حول هذا اللقاء.

صباحٌ لكِ
صباح أشرقَ بابتسامتِكِ
كزخَّات مطرٍ هادِئَة
حطّت نداها على جسمي
فأيقظت ثُباتَ مشاعِري
وأذابت حاجِز قلمي
فكانت تِلك كلماتي
قد خرجت من جوفِ الفؤاد
فارسٌ قد لاقى الـ"جواد"
فكيف بيننا يكونُ اللِقاء
لقاؤنا رعبٌ وخوفْ
فماذا بعدَ اللِقاء
إن صارت الأشواقُ طوْف
فأشتاقُ دونَ حُلول
و البرودُ مني يزول
وأصيرُ بالشوقِ قتيل
و تشتعِلُ نارُ الفتيل
والعينُ عني تقول
جعلتَ دمعي يسيل

لا أعرف لماذا ولكني كنتُ خائفًا من هذا اللقاء، ماذا إن كان كل هذا وهمٌ وحبرٌ على الأوراق فحسب؟ ماذا إن كان حقيقيا وظل تحت مسمى الصداقة المجنونة؟ ماذا إن تكررَ ما حصلَ في الماضي؟

بالرغم من أن قصتي مع "ريدا" أصبحت من الماضي إلا أنها أصابتني بنوعٍ من الحذر، فالتعلمُ من الفشلِ واجب، فأنا كذلك أمتلكُ هذا الصراع في داخلي ما بين الحب المتفجِر وذلك المجتمع الذي يبقيكَ على قيدِ الحذر، وقد انبت هذا الأمر صراعا آخر الآن وهو التأرجح ما بين الصداقة والحب في علاقتي مع ريشَة.

إنها غيوم المجتمع السوداء، المجتمع الذي يعشقُ الحرب والخراب ويُدخل "إبليس" فقط بين العشاق.... إن الله بين العشاق وليس "إبليس" هذا ما لطالما كنتُ مقتنعا بهِ .... ولكن لا يمكنني الخروج من دوامة المجتمع، فأنا أعيش في الوسط وأفكاري غريبة دوما لهم، لكني أوقِن تماما أن ثقتي بذاتي تجاوزت قيامي الدائم بأخذ المجتمع في عينِ الاعتِبار.

إنه شعورٌ بالنُقصان، إذ بدأت أشعر أن أمرًا ما ينقصني عندما يمر اليوم، دون التكلمِ معها، ربما هو لقاءٌ ناقص أو حمولةٌ لم أفرغها بعد في أمان حيث لا أحكام تسبقُ أفكاري ولا استصغار لاموري القيمة. انها **علامة ثالثة** في قلبي تظهر فتزيد على العلامات السابقة يقينيةً ودلالة.... ومن ذاك الذي يجيد فِهم العلامات !

كان يومي طويلا، في نصفِهِ الأول مرّت الساعاتُ وكأنها سنينٌ طِوال..... النصفُ الثاني قد مرّ من جانبي مرورَ الكِرام.....ما السِرُ وماذا قد حدَث! قد وردني مِنكِ اتصال.

صوتُكِ كان أشبه بمعزوفتي المفضلة، لم يكن بمقدوري سوى الاستماع كأني مسحورٌ بنغماتكِ، أردت البوح عن الاشتياق لكن بصعوبة بالغة تناثرت الكلماتُ مني بخجلٍ، من فرط الفرحِ والابتهاج.

رغم شعوري الكبير بالارتياح الذي كان ينتابني، إلا أنني كنت شديد الحذر، بدأت أتأرجح ما بين الصداقة وما بين الحب الذي بدأت علاماتهُ بالظهور.

وفي ازدواجية الحوار اليومي الذي كان يدور بيني وبين ريشَة، والذي يتأرجح بين حب وصداقة، بين نارٍ وماء قررنا أخيرا الالتقاء لأول مرة ولفترة قصيرة وذلك قبل دخول ريشَة الجامعة، وبهذا يكون هذا اللقاء هو الأول الذي سيجمع بيننا بعد طول انتظار.

كنت في وضع صحي يُرثى لهُ، حيثُ أصابتني الحمى التي تحدثُ معي سنويا والتي تسبب لي اكتئابا فريدا من نوعه، عيون حمراء، أنف متورم، حرارة في رأسي وصداعٌ مستمر، وكنتُ أعرفُ أن اليوم التالي هو يومُ الذروة بالنسبة لوضعي مع الحمى والزكام، وأنه لن يكون من المناسب الالتقاء بهكذا ظروف. ولكن ماذا؟ في الاحتمالات هي فرصةٌ تحدثُ نادرا، كاحتمال كسوفٍ أو خسوف، هو احتمالٌ مِؤَوي لفاصلةٍ وما بعدها اصفارٌ واصفار. .

احساسٌ غريبٌ بدا ينتابني، قشعريرة وارتجاف، هو اللقاء الذي كان ينقُص، هي القطعة الناقصة من لوحة بازل ومعها يكتمِل المشهد.

قد أتى ذلك اليوم، واشرقَ صباحُه، ويا ليلا قد مضى وساعاتُكَ قد اطالت، قد صادقتُ فيكَ الثواني وجالستُ كل ثانيةٍ فيكَ ساعاتٍ وساعات. كبركانٍ ينتظر انفجارا، مربوط اليدين كنتُ أنا، أنتظر ضغطةَ الزِناد وأنا واقف على شفير الهاوية، لم أدرِ إن كانتْ عيونُكِ التي لم أراها هي ما أهوى، أم عيوني وقتَها كانت لملقاكِ هاوية.

ثلاثُ دقائقٍ من عمري، احتسِبُ الوصولَ إليهم في كُلِ ثانية، كيف سيكون مُلتقى العيونْ؟ لا أصدق أني سأنظرُ في عينيكِ وأنتِ فعلا ستنظُرين، هو لقاءُ الياسمين اذنْ، وفجرٌ احمرُ اللونِ يعكِسُ جمالهُ على مستنقعٍ من الماء الصافي، وتكتمِل اللوحة في كلماتٍ تخرجُ من ثغركِ الخجول، فأكون في الحُلمِ اجول، أحتاجُ نفسا عميق، فشهيقٌ وزفيرٌ وورودٌ ورحيقٌ و عندها أخبريني، كيف التوتُرُ مِني يزول؟

سريعا قد أصبحتِ جزءًا لا يتجزأ من يومي، وأصبح التكلمُ معكِ وقودا استخدمهُ لأكمِل يومي الذي ادخلتي عليه الحبّ والفرح.

قد بدأ العدُّ العكسي، هي ساعاتٌ تقترِبُ ليومِ اللِقاء، فتزيدُني جنونا وارتباكا، اقِف في ناصيةِ الحلم أترقبُ قدومَ واقتراب الحلُمِ مني، أصورُكِ في مخيلتي ملاكا طاهرا قد هبطَ من السماء بأُعجوبةِ القدَر وتِلكَ الصدفَةِ المقصودة عن سابقِ اصرارٍ وعزِم. أنَّكِ تصميمٌ لخالقٍ لا يُعلى لخلقهِ جمال، هو قالِبٌ قد كُسِرَ بعد خروجكِ منه. نعم افقدُ صوابي وأغرق في هيمِ الجمال. في بحرِ العشقِ اردیتني، ونُقطةٌ على السطر تجلِسْ، فاضحى جمالُ الكونِ في

بحر جمالكِ والجاذبيةِ نُقطة، و بحر شعريٌّ اتزنّ في الجمال سجعٌ، وزادَ بجمالكِ نبضاتَ الفؤاد نبضة.

انه الشغَف، شغف اللقاء، الذي يبدأ من اللحظة الأولى وينتهي إلى حيث اللا نهاية.... ما للعلامات تزيدُ ريشة الروح، انها **علامة رابعة**، ها قد بدأت أقع في غرامكِ.

و جاءَ اليومُ الموعود * اليومَ حُلُمي أمامي يقِف**
لقاءُ نايٍ وعـــود * وكيف ذاكَ الشعورَ أصِف**
عيناها آهٍ لعينيها * كيفَ عنها أميلُ عيوني**
ألبكتني رفةُ جِفنيها * و الرموشُ زادَت جنوني**
شعرتُ بوهجِ الحرارة * مع أن الطقسَ كانوني**
أطلقتْ بقلبي شرارة * و فجرتْ بحرَ فنوني**

هل تشعرُ مثلي يا ترى بزيادة نبضاتِ قلبها! هل تفتقدُ تفاصيلي الصغيرة؟ كلماتُها تخترِقُ قلبي، وتمّلُكُها لي يأسرني، نعم أنا "جواد"ها الاصيلُ بوفائهِ وأنا لها بسمةٌ ماضيةٌ وحاضرةٌ ومستقبلية، ها قد قُلبْتُ اليومَ الساعةَ الرملية، وصاحبتُ حُبيباتِها حبةً وحبة.

أيا تُرى هل تشعرُ معي بذاتِ الارتياح؟ أيا تُرى هل أحساسي عندها يُرى؟ تلتبِكُ من كلامي معها ومن رغبتي بذاك اللقاء، تهربُ كلماتُها كلُ حرفٍ بجهة وتختلقُ أعذارا لعدمِ البقاء، فألاحِقُ صُدقَها على بابِ الدار، فأجدها تشارِكني هذا النقاء.

جاء يومُ الميعاد، أنه اللقاءُ الأول، قبلَ دخولِها الجامعةَ بقليل ووصولي إلى العمل.

استرْقنا نصفَ دقيقةٍ للقاءٍ خجول، سيكسِرُ بيننا هذا القلقَ والتردُدَ الذي طالما رافقنا.

دخلتْ جامعةً كُلّ معالمِ الجمالِ الروحي إلى قلبي وعقلي، فتاةٌ تحمِلُ من الجمال بقدرِ ما وضعتُ في مُخيلتي اضعافا واضعاف، جمالٌ خارجي يعكِسُ اناقةَ لسانٍ وخجلٌ تخجَلُ منه قوانينُ الجاذبية، وتستسلِمُ أمامهُ قوانينُ الطبيعة. ثلاثُ دقائقٍ كانت كفيلةً لتسريعِ نبضاتِ قلبي إلى الحد الأقصى، سحَرَت عينيّ بابتسامةٍ خجولةٍ لا زِلتُ أراها أمامي إلى الآن، أشعر بقلمي يتراقصُ في هذه اللحظة وأنا أكتب، والحروفُ وكأنها تعطيني تِلك النظرة بأني قد وقعتُ مغرَما في جمال وجهِها، بدرٌ يظهرُ وضحَ النهار والصورة الآن أوضَح.

وصلتُ إلى المكان، بمظهرِ وجهيَ المريض والتي كانت تخفيهِ بعضُ الاناقة في لباسِي، أمامي ظهرتْ فتاة في هيئةِ ملاك، هو ملاكُ الحب، أن كان ما يعنيه هذا أنه صاحبُ القدرة على جعلِ القلب بنبضات متسارعة ومتأرجحة.. نعم هي ريشةُ أمامي، وأنا أمامها وقفت مذهولًا، هي سندريلا في قصتِها وهي ريشةٌ في قصة "قلم وريشة".

استفقت من ذهولي بصوتها المميز ذات النبرة الرائعة.

صوتٌ لا يدخُلُ أذُني ... يلوحُ قلبا وفؤاد
من دونِ أن يطلُبَ إذني ... يدخُلُ في قلبي نُواة
فيُزيلُ بصداهِ حُزني ... عجِزت عن هزمِه حياة

صوتها تلكَ المعجزة الفريدة، الذي يدخلُ من فوهة القلب ويستوطنُ بهِ.

نبرةٌ تستفيضُ عُنفوان ... و المكتوبُ قد فضحَ العنوان
مريضٌ كنتُ بيومٍ أسوَدٍ ... جِئتِ وأضفتِ الألوان
و داخلي قلب يفور ... و اللقاءُ صار بُركان
من شر حاسد لعينيكِ حسد ... و عليهِ نتلوا القُرآن

كانت جلسةً صامتةً إلى حد ما، أو بالأحرى كان لقاءَ العيون، وهل للكلام معنى أمام لغة العيون؟ جلسة أشبه بالخيال، أراقبُ خروجَ الحروفِ من مبسمها تارةً، وتارةً أراقبُ العيونَ العسلية المُمَوجة بالحنان، وأضيفت على تلكَ اللوحة أمامي غمازةٌ، أشبه بلمساتٍ أخيرة على لوحةٍ فنية، يزيدُها الخجلُ جمالا ونضارة.

قد وقعتُ في جمالِها مُغرمـــا * وابتسامةٌ نجولةٌ زادتْها جمال**
أمام عيونِها وقفتُ مُرغَـــما * مُسلما عيوني لهذا الكمال**
وقفتُ ومني قد ضاعَ الحديث * والـــتوترُ والخجلُ مِني ينال**
من بوقتِهـا نبضاتي يقيس * وكيفَ تلعثمُ كلامي يُزال**

نعم، كانَ اللقاء ومضى كشهبٍ في السماء مسرِعا وتركَ خطا وراءَه، ذاكَ هو أثرِكِ الذي لن يتكرر، جرعةٌ مضادة للاكتئاب وعلاجٌ شاملٌ للروحِ والجسَد، ونهاية اللقاء مِسكٌ، بمسكِ نفسي من الفرح وخجلِ عينيها العسلية.... ذاكَ اللقاء لم يعُد ناقِص

والشوقُ بدا لآخر على نغماتِ دقاتِ قلبي ..... شعوري من الفرح راقِص

و مضى ذلكَ اليوم، مضى في الزمانِ فقط ولم يمضي من ذاكرتي، ظلَّت تفاصيلُ ذاكَ اليوم في مُخيلتي المحظوظة، صوتُها لم يفارق سمَعي، سِحرُها قد لخبطَ كياني واضاع ما تبقى من حُطامهِ.... لم أعد اتذكرُها. وكيفَ للإنسان أن يتذكرَ ما لم ينساه، ما هو أمامهُ دائمًا، هلوساتٌ سمعيةٌ نظريةٌ حسية.. أعيش عوارِض حِمى أخرى لكنها حمى جميلة في روحي، كبذرةٍ تحت التراب بدأت تخرجُ أوراقها وتلامسُ أشعة الشمس تمهيدا لميلادٍ مجيد...تلك البذرةُ هي قلبي والشمسُ هذا اللقاء...

انتهى اللِقاء بجُرعةٍ من الفرح زائدةٍ تملأ كياني، غادرتُ المكان وصورتُها لم تغادِر ذهني. بقيتُ أراها في كُلِ ساعاتِ يومي اللاحقَة، أتلمسُ أعذارا لابتسامةٍ زائدةٍ طوالَ النهار.

العلامةُ الخامسة، التغيُرُ الجذري.... نعم فإن لم يُحدِث الحب تغيُرا جذريا في الحياة، فهو ليسَ سِوى جزءٍ من روتينٍ فاشِل، إني أشعر بهذا "ريشَة "جيدا، منذ لحظة كلامِنا الأولى.

جميلةٌ وجذابةٌ بكُلِ الظروفْ *** جمالُكِ كعبةٌ حولها قلبي يطوفْ
أمسُ كانَ نورُالقمرِ مِعيارَ الجمالْ *** صار جمالُ القمرِ بنورِكِ موصوفْ
وكانت أيامي دونَ حياةْ *** صريرُ بابٍ وغبارُ رفوفْ
وصِفرا كانت علاماتُ النجاةْ *** صارتْ علاماتُ النجاةِ ألوف

رائعٌ كان ما حدَث، تقولُ ريشَة، لأول مرّة أرى رسمَك يتحركُ أمام ناظري، وأُدققُ في عينيكِ أمامي، ما حالُ الأرض تهتزُ تحت قدمي، شعرتُ بقشعريرة تجتاحُني، ابتسامة على ثغزكِ ارتسمت، فجعلت من خجلي سيدَ الموقِف، بتّ لا أدري كيف ارفعُ نظري واعيدُه إلى مساره.

كان اللِقاء، وما أراد أن يصبِح "كان". كأنه تمنى أن يمتدَ ساعاتٍ وساعات، نظرَ إليَّ وحاوطني بعينيهِ، حملني بنظراتهِ ثم وضعني على إحدى الغيمات، شعرتُ بابتسامةٍ تجتاح شفتيّ، لم يعُد هناكَ مجالٌ للنظرات الرسمية في اللقاءات الأولى، إذ أن حديثا انساب من عينيهِ يحدثني ويمنع عينيّ عن التنحي جانبا، وكأني بحاجة لأن أصدق أني أراكَ أمامي. أخذت جرعةً زائدةً من السعادة وأنا التي كنتُ وقتها اخشى أن اموت بجرعة زائدة.

جعلتَ قلبي من الفرحِ يقلِب، اهو فقط انقلاب أم تخبط في القفص، كعصفور ثارَ على سجانهِ وراح ينفضُ جناحيهِ من البلل، فإما يكسِر ضلوعَ القفص وأمَّا يكسِر جناحيه، وفي كلتا الحالتين انكسار وتوهجٌ بعدهُ قد حصل.

نعم حصَل اللقاء واللوحةُ ذاتها قد اكتملت، قد وصلت إلى المكان كأني أعرفُكَ منذ الف عام، وأنا ريشة عمري عمر الزهور، هل حقا صدقت احاديث الدروز؟ هل حقا الروح تتقمص؟ أأعرفكَ قبل أن أوجد؟ تحدثتُ إليكَ كأني أطير أو كان الطيران بي يعلو، أقاوم صمتا يسود المكان، يتيح المجال لعيني بالكلام، أخاف أن تسرد لك ما لا يُباح، تائهةٌ كنت بين الكلام، ليس بالأحرف بل بكلام العيون. أحرفي واثقة تخرج من شفتاي ولم أدرِ

كيف للكلام أن يتلعثم في فمي، لم أعهد تعثر اللسان لكن قلبي بنغماته قد عفر، صعودا ونزولا مشى وعلى الوتر قد عبَر، كيفَ أنظرُ إلى يديّ الباردتين أو كيف عساي بالحراك أنصرِف، تركيزٌ على العينين قد حكم، براءةٌ لنا لجرمٍ قد حدث، وبالبراءة الظُلم قد حصَل، فهل نعيد الجريمة ذاتها؟ وهل مطرقةُ القاضي براءةً ستقع؟

نعم لقد وقعتُ في حبِها أو لا يمكنني إنكارُ العلامات الخمس التي ظهرت وبالفعل لقد وقعتْ هي أيضًا في غرامي ولا يمكنني التفكير سوى بتوقعِ اكتمالِ كافةِ العلامات لدي.

لقد كان هذا اللقاءُ بالنسبة إلى استكمالا لفترةٍ قصيرة تعرفت فيها على فتاةٍ مختلفة وتأكيدا على أن الأمر حقيقيٌ ويمكنُ تصديقهُ.

التردُد في داخلي بدأ ينهار والقلق في رأسي بدأ بالاضمحلال، لا زال هناك وردةٌ بنفسجية بين حقولِ الألغام وحمامة بيضاء تعطيني رمزَ السلام، لا زال هناك بين الكراهية من يجيدُ عن الحبِ الكلام.

فلتعرفي أني لستُ أتردد
و ليسَ فيكِ للشكِ مكان
إنما بداخلي صراعْ
قد حكمهُ حكمُ قاضي
مركبةٌ دونَ شِراع
الحاضِرُ بوجهِ الماضي
فلا القاضي ينصِفني
ولا العدلُ يرضيني
لكني أنظرُ لعينيكِ
والقلب قتيلا يرديني
فأين محكمةُ العشاق
ومن الخلاصُ يعطيني
صديقةٌ أيعقَلُ هذا
أم بكِ سأكمِلُ ديني

العدلُ يرضيني هذه بالمرة، حتى لو حُكم عليّ بالسجنِ المؤبد معكِ ريشة ولكن هذا لن يظهر ربما إلا بعدَ اكتمالِ العلامات العشرين .
جمال الوردة المخملية، أم سِحركِ أنت الطاغي على عينيّ. بتُّ أرى الجمال أمامي أينما أنظُر، وهل لعينيّ عذرٌ غيرُ الافتتانٍ بكِ وهل لقلبي ملجا غيرك

في وحدتي، أيّ وحدةٍ هذه وانت تسكنين الفؤاد والعقل أيضًا، وتستعمرينَ عينيّ ليلَ نهار، حلما كان، أم في اليقظةِ خيال.

لها عيوني عاشِقة
أعشقُها لكنها سارقة
سرقت عقلي وقلبي
و توارتْ مثلَ الصاعِقة

يا نفسيَ الضعيفةُ معذورةٌ
أمام عينيها الحارِقة
لو حتى الورودُ راتها
غازلتها وصارتْ ناطِقة
من يرحمني بعد ابتعادِها
ويُرضي نبضاتي الشائقة
من يعيد الحياةَ لروحي
و يرافُ بأنفاسي الشاهقة

غرقتُ وكانتْ عينيكِ
بحياتي النقطة الفارِقة
من يرمي طوقَ النجاة

وينقذُ دموعي الغارقة
قد قال قبلا لن يعشقْ
لن يهاب نيرانا حارِقة
قد احترق بين انظارِكْ
بقوة عينيك الحارِقة

ثوانٍ كانت معدودة
وكلماتي حتما صادِقة
كيف وقعتُ لم أعرِف
بتلك السرعةِ الفائقة

كان اللقاء الثاني بعد أسابيع، بدأت ريشة تسرقُ الظروف لخلقهِ وكنت أساعدُها على الانحراف، وما أجمل انتظار ثغرةٍ من أجل خلقِ لقاء، وما أجمل أن يُسرق اللقاءُ سرقةً ونلتقى لثواني خلسة. أنا الذي كانت تزعجني الظروف التي تمنعُ اللقاء قد بدلتُ رأيي، هي الأمور الجميلة التي سنبقى نتذكرها بعد أن نشيب وكيف كُنا نخافُ مرورَ أحد من أقاربنا خلال لقائنا، فنخفي رؤوسنا تحت طاولةٍ جلسنا عليها عند مرور أحدهم ثم نعود وتعودُ الموسيقى التي بدأت على صوت فيروز "أنا لحبيبي وحبيبي إلي"، لربما كانت صديقتي على حق "رامونا" التي تعمل كمعالجة نفسانية وهي صديقتي المقربة وبيتُ أسراري قد اضاءت لي عند ذكرِها جمالَ تلك اللحظات وذلك عندما كلمتُها عن لقائي الأول بريشة، بدأت أشعر فعليا بجمالِ تلك اللحظات وروعتها.
جمال اللقاءُ الثاني لم ينقص بلهفتهِ عن الأول وقد زادني تعلقا بالتفاصيل. حتى لو كان الثاني أو الثالث أو العاشر كنت أشعر أنه الأول، في كل مرةٍ ألتقي بها. بدأتُ أرى الكمالَ في صورةِ ريشة وتحطمت أمامي جميع المعايير؛ فمعيار الحب الذي يحدده معدلُ دقات القلب قد قال كلِمتهُ.... أنه الحب بيننا، القوة الأزلية في كل العالم.
محاولاتٌ تُخلقُ من العدم لإيجاد لحظاتٍ سرقتْ من الجنة، وصلتُ إلى ذاتِ المكان الذي التقيتُ فيهِ ريشة في اللقاء الأول، عند مفترقِ الطريق المؤدي الى جامعتِها، رأيتها تنتظرني، هو الثاني لكنهُ أوليّ الصِفات، نصفُ دقيقة لا أكثر، هو لقاءُ العيون أيضًا، سُردتْ فيهِ أجمل الحكايا والمشاعر الصادقة، تلك التي يعجز اللسانُ عن وصفِها، تلك التي تُلوِن خدودَ ريشَة بتوشيحاتِ

المشمش. حروفُها التي انسابتْ من فمِها كانت كفيلةً برفعِ خفقاتِ قلبي، وإظهار رغشة العيون، فكيف بها وهي تهم بالاقتراب مني؟

والجمالُ نورٌ حولكِ انتشر ... عجز لوصفهِ الجنُ والبشَر

ألم يخلق الله بعدكِ جمال ... أم أن القالبَ بعدكِ انكسر

أضيع أنا بين تموُج عينيها، اضيعُ في سراب الحاضر، أبحثُ عن ذاتي بين تلكَ الألوان، فأجدكِ قابعَةً في ذاتي وأجد بعضي فيكِ وروحي معكِ وأشلائي داخلك وغريبٌ هو موضوع كيف أجد نفسي فيكِ وأجد نفسكِ في داخلي والاغربُ كيفَ تنقلينني إلى عالم الأحلام، حيثُ الأمنُ والأمان وتلاشي الأحزان، هناك حيثُ الهام شاعرٍ قد وصفَ سحرَ تلك الألوان.

طــلةٌ أطلت هـا هي * من طلتِها القمرُ خجولْ**
ســـحرُ تكاوينٍ زاهيهْ * قمرٌ على الأرض يجولْ**
أمامها ما الفكره الواهـية! * مزيدٌ صُمودي يطولْ**

بضعُ كلماتٍ منها أذابتني، قالت لي بضحكةٍ خجولة لم تُفارِق مبسَمها.

"من تشوُقٍ لليوم الموعود إلى ازدحامِ الأشواق في صدري كُتِبَ على جبيني أخجل النظرَ في عينيكَ لأنها موضِع تشرذمِ رُشدي وسببُ رقّة قلبي.. حيث وقعتُ في غرام أحرفكَ قلمْ.. للوهلةِ الأولى أردت استجماع قوّتي لكنّ قلبي حطّم صلابتي واجتمعت فيه شتّى موسيقى الأرض في بِضع ثواني فحافظتُ على هدوئي.. كِدتُ أسترجع ذاكرتي وأتمعّن في لحظتي وكأنني

أعرِفُك منذ سنوات، وكأنّ عينيك ليست غريبةً عنّي وكأنّ قلبُك لي منذ بدءِ النشوء إلى أن التقينا وتلاحمَت قلوبنا ونطقتْ بما لا نستطيع أن نُعبّر عنه في كلامِنا وحناجِرنا"..وأكملتُ بعدها مسيرها إلى الجامعة.

تنتهي نصف الدقيقة، أذهب بجهةٍ وهي بجِهة، يُعاكِس اتجاهَنا مسارُ القلِب، الذي يتضاربُ كموسيقى إيقاعية، لقد ترْكنا المكان آنذاك، بستانٌ من الياسمينِ يتفتحُ على قارعةِ الطريقِ يستنظِرُ لقاءً آخر ليستكمِل عمليةَ نُموهِ ويأخذ لونه الأرجواني بلونِها المُفضَل، ليصبِح هذا المكان مُلتقى العشاقِ بعدنا.

إني أجد روحي في مكان استقر فيك، في عينيكِ ربما أو خدودكِ الحمراء هذا ما قلته وقتها وأنا أراها تبتعد عني إلى الجامعة، كيف للمسافة أن تحتوي قساوة بهذا القدر، الم تضمحلَّ المسافةُ التي تفرق العاشقين بحكم اشواقهم؟ كان جاذبيةَ الأرض محصورة بين العاشق ومعشوقتهِ، تجتذبُ هول انصِهارِ المشاعر من كل اقطابِ الأرض لتُثير جنون الاشتياق.

بين عينيكِ تضيعُ العلومْ
الفتحةُ ضمةْ والكسرةُ سكونْ
وقواعدُ الصرفِ تثيرُ الجنون
المضارع كانَ والماضي يكونْ

الشوقُ والعلامةُ السادِسة، عندما يبدأ الشوقُ بالنزوحِ إلى أعماق الشعور، عندما أشتاق لكِ وأنتِ أمامي، عندما يُشعلني البعد شوقا إليكِ فأنا بدأت أُحبكِ ريشة.

شوقٌ شاقَ إليكِ وشقَّ
ما يوما ظنَّ فيكِ وشكَّ
لو حتى كان الدرب شائك
ساعبرُ فيه دون مشقَّة
فما لومَ على قلبي أن شكى
أو يوما من هولِ الغرامِ اشتكى
أو أحس يوما بالوجع
أو على ثبات الضلع فيك اتكى

استفقتُ في اليومِ التالي، ولأول مرةٍ أشعر بالصباح الجميل، على الرغم من الضجيجِ المعتاد وصوتُ أمي في أرجاء المنزِل وصراخُ أبي نزيه الذي يطلبُ الفطورَ قبلَ ذهابهِ للعمل الشاق إلا أنني وقتها كنتُ أعيشُ في ذاك العالم الجديد.

استفقتُ اليومَ في الصباح لا أدري ما كانتْ الوِجهة لماذا أُسرِع نحو هاتفي .. أفتحُ محادثتَنا في المساءِ الماضي ..عيناي لا زالت ترى خبشا .. قلبي يزيدُ بالنبضْ، أحاول الهدوءَ عبثا، كفِّي على الهاتفِ، أنقبضْ أشعر بشعورٍ غريبْ،

وددتُ الاقترابَ منكِ و لكنَ القُربَ مُريبْ، ولا أريد البُعدَ عنكِ .. النبضُ يزيدُ بالسُرعة وكأني تعاطيتُ جُرعة .. مخدري أنت والحنان .. و العِشقُ فيكِ حبيبتي باتَ هياما وإدمان .

ما لكِ! تتداخلين في قلبي اختلاسا..أستيقظُ صباحا فأعرِفُ مهمتي الأولى...قبل غسلِ الوجهِ واليدين....قبلَ رفةِ العينِ الأولى...قبل خروج تثاؤبِ الصحوةِ الأولى... أنتِ صباحي الجميل، وصِياحُ مقدمةِ الصباح، وإشراقةُ شمسٍ جميلة. أنتِ فكرتي الأولى، والصورة العليا في عقلي قبلَ انفتاح الجفونْ. الصباحُ الذي لا يأتي على هيئَتِك.. صباحٌ يتيم.

صباحي اليومَ، هو كعينيكِ العسلية التي تهديني شهدَها فتُنعِشُ روحي وقلبي وجسدي، أودُ أن أقول لكِ أني اشتقتُ إليكِ، اشتقتُ لتكاوينِ وجهكِ البريء، لشاماتٍ تجالِسُ بشرتكِ السمراء، تشعرُ كشعورِ امتلاكِ منزلٍ يطلُ على بحرٍ هادئٍ واطلالةٍ سحرية.

مع كل اشراقةِ صباح، أشعر بأنَّكِ بجانبي، تعطيني الشعورَ بالطمانينة، فتكونينَ وطنا بديلا لوطني التي انهكتهُ صوت المداخِنِ وضجيجُ الحرْب.

فلو سألني غريب عن كوكب الأرض ماذا أجيب؟

هل هي كُروية أم ماذا؟ أتُغذيها الشمسُ نهارا وتضاء بالقمر ليلا؟ هل يسكنُها بشرٌ وهل تحدُها المحيطات والبحار؟

الأرض هي مُتَّكأ صدرِها وحدقةٌ مركونةٌ في عيونِها، ما همني إن كانت كرويةٌ أو مسطحةٌ، هي جميلةُ الشكلِ والوِقار، والكلُّ منها يغار..... هي القمرُ وهي الشمس والتغذية ذاتيةٌ منها وإليها ومن ثم إلى قلبي.

أسكنُ أنا تارةً بين عيونِها وتارة تحت طيَّاتِ جفونِها، حدودُها فيضُ الجمالِ أن وقعتَ في شركِ جمالِها شهيد، هي وطني وأوطاني، قريتي ومنزلي وهويتي تضيع بين مسكِراتِ خدودِها والنبيذُ الخالصُ في شفتيها، تلكَ التي بعثرتْ علومَ الجغرافيا وعلومَ الفلكِ والطبيعة.

أنتِ ذلكَ البريقُ في عيني، أنت سببُ ما يتساءَلون عنه حول سرِ تفاؤلي...نعم اشتقتُ إليكِ يا وطني الأمن، يا روحي الضائعه لديكِ.. يا نفْسي ونفَسي، وذاتي ولذّاتِ وحُصني وحُضني، و نوري وأنواري. استفيقي فالقلب ينتظِركِ، وإبليسُ خائفٌ منكِ....خائفٌ من تجلي وجه الخالقِ في جمالكِ... استفيقي هيا، فالشمس تنتظِركِ، وأنا أنتظركِ لأحتسي شيئًا من العشقِ بدل القهوة. يا قهوتي الحلوة وقطعةَ الحلوى، صباحُ الخيرِ ريشَة قلبي.

أنت الأولى في كل شيء، وهي **العلامة السابعة**.

من يعذُر تكلُمي مع نفسي حبيبتي؟ من يرحَمُ تغيُري المفاجِئ حينَ وقعتُ في عشقكِ؟من يصدِق أني أراكِ أمامي أينما حللتْ وأني أجعلُكِ تغفينَ بجانبي كلَّ مساءٍ وأنت بالمسافاتِ عني بعيدة.

قولي ريشةَ قلبي، من يُعالِجُ فِصامي وانفصامي؟..... من يفهمُ هلوساتي المتكررة فيكِ وأوهامي الحقيقية..... من سيصدق بعدُ أني أنا، كما كنتُ قبل معرفتي فيكِ، قبلَ شروعِ الحياة بداخلي.

وضعتُ كما كنتُ أفعلُ دائمًا أغنيةً لفيروز، هذا ما اعتدْتُ القيامَ بهِ يوميًا، بدأت أشِكُ بأن فيروز تعلمُ بعلمِ الغيبِ في القلوب، تستطيع وصفَ أيّ شعورٍ فينا مهما كان بأغنية بصوتِها النادر "إذا رجعت بجنّ وأن تركتك بشقى لا قدرانة فل ولا قدرانة أبقى".

كأن فيروز تسكنُ شعورنا وتعبرُ عنه بأغانيها وعنجد "شو كانت حلوة الليالي "الليالي التي بدأت منذ عرفتُ ريشَة .

قد وقعتْ تِلك الفتاةُ في عِشقي، أحبّبتُها مجنونةً تريد تمّلُكي، أحبّبتُها والغيرة تُشعِل حديثَها المُتزِن الذي يتحولُ إلى جنونٍ مُبهَم، أنا مِلكُها، فليتجرأ أحد بالاقتِراب مِني، تكادُ تكتبُ اسمَها على جبيني ولا تدري أن حُبّها يُرى من خلالِ عيوني التي صورتْ مشهدا ثابتا في صميمِ الذاكِرة وتعطلت فيهِ بعدَها بيولوجيةُ القُرنِية وحَجَرُ العينِ العسلي الذي تجمَدَ عِند ذاكَ المشهَد.

أقول لك أميرةَ قلبي، أنت وردتي البنفسجيةُ، وهوائي الذي أتنشقهُ، أنت العِشقُ والغرامْ، والعِشقُ ليسَ حرامْ، أنت الحبُ الذي يكبَرُ كلّ يوم، وكان أماتعتني به وتعطيهِ الاهتمام والحنان والغِذاء، وتهتمُ به بعِناية فائقة، أنت رزقٌ مباركٌ من السماء.

الاهتمام والعلامة الثامِنة، أن تحب هو أن تهتَم وإني أرى اهتمامها بكل جزيئاتي وأرى اهتمامي بها قد فاق اهتمامي بنفسي، فصرتُ أسألها عن صحتِها باستمرار، وأوصيها بأن تتلحفَ جيدا ليلا، وألا تذهب لجامعتها دون تناولِ الفطور ولا تصعد بحافلةٍ يكون فيها السائق منفردا، وما إلى ذلك من أمور.

و صرتُ أدركُ أيضًا بأنهُ لا يجب أن أتأخر بموعد الدواء صباحا، وألا أُسرِعَ بسيارتي، وأن أشرب الماءَ بشكلٍ مستمر لأنه مفيدٌ للصحة وأن اتجنب كل أمر من شأنه إزعاجي.

قد حضرَ جمالٌ ليسَ لهُ مثيلْ ** احتمالُ نجاتي من عينيكِ ضئيلْ
العطرُ والريحانُ من شفتيكِ يسيلْ ** و السلامُ في روحِكِ والموتُ قتيلْ
في الحربِ سلمٌ وللسلامِ فتيلْ ** و الجبل العالي بميْلِكِ يميلْ
و البخيلُ اللئيمُ إليكِ يكيلْ ** و كلامُ الإيجازِ بوصفِكِ يَطيلْ
و الجحيمُ بين عينيكِ جميلْ

سرعانَ ما دخلت قلبي، بِتُّ أراها في كلِ مرةٍ أمام الجامعة لبضعةِ ثوانٍ، وينتهي اللقاءُ بضحكةٍ من ثغرِها وشوقٌ للقاءِ آخر. في كل مرة أشعر بلذةِ اللقاء كأنه اللقاءُ الأول، عيناها العسليتان غرامٌ بنفسجي وخجلُها الجاذِبُ سحرٌ أبدي.

كيفَ أتكلم عن حلاوة اللقاءِ اليوم، وكيف أصِف ما حصَل؟ في كل مرة ألقاكِ فيها....كأنه اللقاءُ الأول فتُعيدُ تفاصيلُكِ الصغيرة إرباكي وتلخبِطُ كيانَ الوعي بداخلي وبنظرةٍ خجلةٍ تتَكلل. تعالي وانظري كيف نبضاتي بحضورِكِ تتحول وكيف تكونُ أحلاميَ الصغيرة بين عينيكِ تتجول... اقتربي إليّ واعرفي كيف بحَذري اتهور وكيف نيرانُ الشوقِ إليكِ للقاءٍ آخر تتسول... كيف كلَّ ما ألقاكِ لا شيء بالمشهدِ يتكرر، كيف يكونُ لقاؤنا العاشرُ كالأول.

لقاءاتٌ عديدة كانتْ أمام تقاطعِ الطريقِ المؤدي إلى جامعتِها، هي ذاتُها الجامعةُ التي تخرجتّ منها، هو لقاءٌ لبضع ثوانٍ أسترِق فيه النظرَ في عيونِها الخجولة، كانت كلّ مرةٍ تهمِسُ في أذُني "أشتاق إليك "وإن كان هناك مُتّسعٌ

من الوقت بما يكفي، تزيدُ كلمة قلمي، فتصبح "أشتاقُ لكَ قلمي"، بضعة كلماتٍ بما يقارِبُ الثلاثين ثانيةٍ ولكن كلماتُ العيونِ حينها، لو كانت ستخرُج من الفم، لاحتاجت أياما وشهورا وسنينَ للتعبيرِ عما عبَّرت في عشرِ ثوانٍ لغة العيون. نعم هي ثلاثون ثانيةٍ، فالحبُ في مجتمعنا الشرقي، حرام وصعب والكراهيةُ مباحة، ولكن ثلاثُونَ ثانية كانت كل مرةٍ كفيلةً لانعاشي إلى الثلاثينَ ثانيةٍ القادمة.

عيونُها العسلية لم تفارقني وضحكتُها المليئةَ بالحُب لا زالت ترسُم أمامي صفًا من الذهبِ الأبيض.

في النهارِ زحمةٌ وجمهورٌ كبيْر ... ما سِرُ هذا الجمع الغفيرْ
الصحافةُ احتارتْ لم تدْري ما صارْ ... أمامكِ صحفيٌ انذَهلَ وقال
لتلك الظاهرةْ وجدتُ مقالْ ... والعنوانُ ساختارُه بفنٍ كبيرْ
ظهور القمرِ في وضحِ النهارْ

حكايةُ الثلاثين ثانيةَ لم تخرُج من ذهني، أيّ جرعة يمكن إعطاؤها في ثلاثين ثانية، سوى التي أتتني من عينيْها العسلية، تصبح فجأة بعض الأمور مقدسة بالنسبة لي، مكان اللقاء، نهارُ اللقاء، كومةُ الحجارة علي جانب الطريق، الحفةُ التي أتكئُ عليها عندما لا أشعر بشيء بجسدي وأنعزل في لحظتِها عن الوعي والادراك والوجود.

كانت أختي *وردة* توأمي الروحي والنفسي وأكثر من كانَ يلاحظُ تغيري النفسي المفاجئ الذي أصابني منذ معرفتي بريشة، أو ربما أكثر من كان يهتمُ

لتغيراتي بعد * "أرزة" *.
أبي كعادتهِ وأفكارهِ التي أتتْ وكُسرَ القالبُ بعدها، لم يكن لهُ الوقت ربما ليقدِم لي الدفئ العاطفي إلى الآن، أو على الأقل هذا ما كان يُظهِرهُ أو هذا ما كان لا يجيدُ القيامَ بهِ.
أذكر جيدا أن طفولتي كانت صعبةً جدًا، فما زلت أتذكرُ جو العنف الذي كان يسودُ العائلة وأذكر جيدا أن العنف اللفظي كان أشد علي من العنف الجسدي وهذا ما سبّبَ لي ضُعفا في الشخصية كنتُ أعملُ على تدميرهِ في سنواتي الأولى في الجامعة، فلا أذكر أنه كانَ لديّ موقِفٌ اتخذتُ فيهِ قرارا أو أخذ برأيي بعينِ الاعتبار، كنتُ عبارة عن جمادٍ متحرك فقط وفي بعض الأحيان آلة متطورة أقفُ فيها مع أبي لأساعدهُ باعمالهِ التي كانت ترهقهُ وتُظهرُ تجاعيدَ الألم في جبينهِ.
عملتُ جاهدا كي ازيلَ ما زُرع خلال طفولتي، كانت عاطفةُ والدتي هي ما تجعلني احمِل إرادتي في التغيير على كتفي كما إرادتي في الحياة، أعرف جيدا بأنني لو لم أكن شخصا ناضجا لبقيت ضحية الضعفِ الأبدي، لكني كنتُ من الأشخاص الذين يبحثونَ بشكلٍ دائم عن بقعةِ املٍ في حياة سوداء، اختلقتُ فيها بقعاتَ الأملِ من قلبي ووجود الله في داخلهِ. نعم، الرب غير موجودٍ في السماء كما يعتقد البعض، الله موجودٌ في قلب كل إنسان وإن كان العقل هو ما يساعِدنا على الإيمان بوجود الله فالقلب هو الذي يدلنا على سبب وجودهِ. و لكن لمَ الخجلُ من المعاركِ التي خُضتُها؟ نعم أنا فخورٌ بنفسي، استطعتُ بناءَ نفسي من العدم، كلا ليس من الصّفرِ أو من تلك الورقةِ البيضاءِ الفارغة، بل كانتْ الورقة قد مرّت عليها نكباتُ الحياة

وانهكتْها تجاعيدُ الصبرِ والألم لكنها رغمَ ذلك ابت أن تكونَ رمادا يتناثر مع أيّ نسمةٍ تمر بجوارهِ، بل وكوَتْ تجاعيدَها واصلحتْها ولم تشعُر حتى بنارِ الكيّ والاحتراق.

الحياة تُكسِبُك مناعةً تجعلكَ قويا أمام مشاكلٍ أكبر ممكن أن تواجهَك، هي تماما كعملية اللُقاح، فكما يعطى الطفل لقاحا عبارة عن باكتيريا مخففة لكي يمتلكَ مناعةً أقوى، أيضًا يحدثُ هذا معنا في الحياة بحيثُ تمر بنا مشاكلٌ صغيرة تجعلنا نمتلك حُصنا وخبرةً أوسع في مواجهة مشاكل أكبر قد تعترِضُنا فيما بعد... ولكن ماذا عن ذاك الذي لم يأخذ لقاحَ الحياة؟ سيكون هشا قابلا للكسرِ بسهولة لذا أنا لا أخجل من فشلي أو من مشاكلٍ قد مررتُ بها، فقد أنبتت لي جهازا مناعيا حياتيا جعلني أصمدُ وأواجه وانتصر في معركة الإرادة والوجود. لم أكن أقوى على الكلام أو التعبير، كنتُ فقط اترجِم احاسيسي ومشاعري حروفا تكادُ تنطقُ افصحَ من اللسان، فتخففُ من حدةِ الوجع والاشتياق وتنفجرُ في مقاطع شعرية حينا ونثرية حينا آخر. لكني الآن أنا وبكل فخرٍ أمشي بذلك الأثر.

لماذا وُجدْنا في هذه الحياة أن قررنا العبورَ فيها عبورَ الكِرام؟ متى سيتذكرونَنا؟ كيفَ

وأين؟ ربما على ناصيةِ مقبرةٍ، أو كونَنا رقما ضُمنَ الوفياتِ في دائرةِ النفوس. إن لم نُذكَر في مقالاتِ الصحُفِ فلِما نعيش؟ إن لم يكن اسمُنا في أسفل الشمالِ من ورقةٍ أو كتابٍ أو كنا صورةً لما يطمحُ الناس أن يكونوا عليه، إن لم يعرفْنا شخصٌ بالشرق وشخصٌ بالغرِبْ كذلك شمالا وجنوبا فلِماذا خُلِقنا؟..

كلا نحنُ لن نمُرّ دونَ أثر جميل، سنتركُ وراءَنا عبيرا مُلونا، ولن تكون اساميناً مجردُ نحتٍ على القبور بل في زاوية لوحةٍ، في أسفل كتابٍ، في ابتسامة مزروعةٍ فورَ تذَكُرِنا، وسنكونُ يوما ما نطمَح. نعم هي فقط من تجيدُ فهم لغتي الغامضة، وحدَها من تعرفُ تعابيري المُبهمة وغضبي غيرَ المبرَر، الوحيدةُ من تفهمُ صمتي واسودادي في تعابيري البيضاء، وتلتقطُ غضبي في قمةِ هُدوئي، وتكشفُ انزعاجي في طيةٍ من طياتِ جبيني. أنتِ مفتاحُ شخصيتي الغامضة حبيبتي، لم أكن أتصورُ يوما قدومكِ من عالم الأحلام لتحُلي لُغزيَ المعَقّد. نعم لقد وقعتُ في سِحرِها، لم أدرِ وقتها ما جذبني إليها عند اللقاء الأول، هل هي عيناها، أم ابتسامتها أم تهجيها لحرفِ السينِ والشين، كل ما كنت أعرفهُ هو أن فؤادي يرتجف كلما كنتُ أحاول النظرَ بخجلٍ إليها، يضيعُ الكلامُ والحديث يندثِر ولا يعودُ لمعجمِ الكلِماتِ معنى.

قد عجزَ الكلامُ عن الوصِف.. وأجادَت عيونُها بقلبي القصِف
أحبّ تهجّيكِ لاسمي .. رعشةٌ تسبِبُ في جسمي
فتكادُ الحروفُ تنفجَر.. والدماءِ بداخلي تتحجَر
اشتياقُكِ نُقطةٌ في بحري.. اشتياقي قد حزّ نحري
بداخلي لغتي تتقلَص .. النومُ مني يتخلَص
تعرفين بروحي أفديكِ .. وشعوري على الشوقِ يشهَد
شهادتي مجروحةٌ فيكِ ..اسألي القلبَ الذي ينهَد
فكيفَ أنامُ بسلامٍ .. وكيف الخلاصُ الليلة

قد تعدى ادماني وحُبي .. عشقُ قيسٍ لِليلى
والآن للنومِ سلام .. ما عدتُ أجيدُ الكَلام

بدأت أرى الجانِبَ الإيجابي من الحياة، تلكَ زجاجة الماءِ، لا أرى فقط جانِبَها المليء، بل بدأت أراها فائضةَ، وتلك البومةُ التي كانت تحُط على الشجرةِ أمام غرفتي كلّ مساء، بدأت أدركُ جمالَ عيونِها وسِحر هدوئها، بدأت أرى الإيجابية بكلِ شيء، كيف لا، ومن عرّفني على ريشَة كانَ أمرًا سلبيا بالظاهِر....هي تِلك المظاهرةُ الطلابية التي كانتْ بدايةَ حياةٍ بالنسبة لي ونقطةُ التحولِ إلى الإيجابية في عمري.

لم يعُد اللـــقاءُ بعيد ** و غدا يومٌ جديد
و كل يومٍ يقـــترِب ** يجعلُ نبضاتي تزيد
أنتِ مَنْ قلبي يريد ** جندي وأنتِ العميد
بنارٍ مشاعري تحترِق ** ولغيركِ شعوري جليد
أطلبُ من ربٍ حميد ** احراقَ من علينا يكيد
شوكةٌ في عيونهِ نحنُ ** دعيه بالحسدِ عنيد
أُحبكِ وبالغرامِ شهيد ** حبٌ من النوعِ الفريد
يطيلُ من العمرِ عُمرا ** و عمرا على العمرِ يعُيد

سفري إلى عمإن لم يكن بالأمر السهل، على الرغم أن المدة كانت قصيرة لا تتعدى العشرةَ أيام، إلا أنني بدأت أدركُ لوعة البعدِ والاشتياق.

لم نكن نلتقي كثيرًا في لبنان ولكن انتابني شعورٌ غريب، أشعر بابتعاد روحي عن جسدي، فعلى الرغم من أنه ابتعاد فقط بالمسافة لكني أشعر بأني أخونُ أجزائي.

ما لتلكَ الجميلة تجعلني أدورُ في حلقةِ الاستثناء، في حضرةِ جمالها استثناء، ومشاعري معها استثناء، وشوقي لها وكلامي معها ونظرتي إليها استثناء.

ريشةُ أنت الوحيدة التي أجد في صراحَتِها الغموض وفي غموضها الصراحة، أرى في عيونها الوجود وفي ابتسامة ثغرِها افقَ الراحة.

الـقمرُ بِوصفِ جمالِها خطيبْ **وهي دوائي وبذِكرِها اطيبْ
ما سِرُ سِحرَك والرَيْحانُ يُحيبْ ** لها من قطراتي النديّةُ نصيبْ
وزهرُ الشبابِ بغِيابِها يَشيبْ ** والتفاؤلُ ضائعٌ والأملُ يخيبْ
قد بدا ينتابُني أحساسٌ مُريبْ ** إلى متى غيابُكِ لقلبي يُذيبْ

الاستثناء في كل شيء وعلامة تاسعة، أنه التميُز، القواعِد التي تمشي على جميع البشر إلا عليها، أنه الكلامُ الذي لا يخرج إلا استثناءًا لها.

ريشة التي ما زالت تنتابُها نوبات الغيرة، والانانية الجميلة والعمياء، نعم العمياء، هي تغارُ من تمكُنِ غيرِها من التكلم معي، ما لا تستطيع هي فعله،

تغارُ من موظفة الاستقبال، من مضيفات المطار، من بائعةِ التحف، من تلكَ المتسولة التي ألتقي بها على رصيفِ الطريق، من زملائي في العمل الذين يشاركوني مقاعدَ الطائرة، كم كانت جميلةٌ غيرتها واشتعالُ خديها بنيرانِ التملُك.

لا تدرين كم هو جميلٌ هذا الشعور، القواعِد كلها تتشتتْ أمام عينيك، الكلام يضيع مني، كياني يتلخبطُ، جسمي يرتعش، أنت كل كياني وكل الحب وكل الروح.

أنتِ هي العجيبةُ التاسعة في حياتي والنهار الثامنُ من أُسبوعي، والصلاةُ السادسة في يومي والفصلُ الخامِسُ من فصولي.

كنتُ أشكو لها غيرتَها المفرَطة، ولكِن من ذا الأبلهُ الذي لا يحبُ غيرةَ الحُب ويتذمرُ منها، كنتُ سعيدا من الداخل، أتفوه لها بكلماتِ البراءة وكأني لم أستثِر غيرتها. سيدتي أنا أعشقُ غيرتَكِ المفرَطة المليئة بالثقةِ، والغضب المليءَ بالكبرياء.

لا تقلقي أنت تولّدين في قلبي وردة بنفسجية وأوقِنُ أن النهاية بستانٌ يشتعل بالغيرةِ ألوان. ترِد ريشّة وحُمرةٌ على الوجهِ تكشِفها:

- تبعثرتْ أحرفي وضاعَ قلمي عندَ عينيكَ ورؤيتي، لكنّي وجدتُك عناقَ الأضلُعِ وشوقَ القلبِ وياءَ التّملُكي، حتى أصبحتَ عشقي الأول والأبدي.

لأنها وحدها عيونُكِ ألغامٌ من الحب والجنون، لن يتجرأ الاقترابَ منها سوايَ، أنا ذاكَ الذي أصبحتِ لهُ الحياة، فقررَ المشيَ على الغامِ عينيكِ والمغامرة، فإن متُّ في هذا السبيل، فلي فخرُ الاحتضارِ لديكِ وأمَّا إن صمدتُ أمام جفونَكِ فالموتُ في حضرةِ الجمالِ أرحَم.

أشعلتَ غيرتي
هيا أفِق
نيرانٌ تلوحُ بالافق
زلاتُ كلامٍ وبعضُ الصراحة
وإيماءٌ جميلٌ بغمزةِ عينْ
هدوءٌ وعهدٌ وبعضُ الراحة
أنا حرٌ لا تقلقي فالوعدُ دين
دعينا نبقى على هذا الوتر
العالمُ على الجانبِ ضعيه
نسترق قبلة تحتَ المطر
إن تذمر منا الحسودُ دعيه
نجلس نهارا فوق الغيوم
و ليلا نجالس تلك النجوم
نشكي لبعض همَّ الحياة
و بغمرةٍ ننسى كلَّ الهُموم

حتى أنا بدأت أغارُ عليها من خيالِها، هي لي ولا يحقُ لها أبدًا النظر لغيري أو الابتسامة البريئة لغيري.

أوصيكي بعدم الضحك وعدم شرب القهوة أمام أحد ولا تقرأي كتابا على الرصيف من دوني أو تُتمتِمي بأغنية بمفردكِ، لا تجعلي أحدًا غيري يفقد صوابه بكِ.

العلامة العاشرة وهي تلك الغيرة التي نشعرُ بها والتي لن ننزعجَ منها ما حيينا.

***

و تمرُ الأيام، بدأت أترقبُ وصولَ العيدِ على أحرِ من الجمر، أحتسِبُ مرورَ الليالي بالدقائقِ والثواني، لربما هي المرةُ الأولى التي أشعر فيها بحلاوةِ قدومِ العيد، صرتُ مِثل الأطفال الذين ينتظرون أكلَ حلاوةِ العيد وإقامةِ المفرقعاتِ النارية وشراءِ الملابس الجديدة والهدايا، ولكنّ حلاوتُي كانت من نوعٍ آخر، هو لقاءٌ مع ريشَة لأول مرة لمدة تفوقُ الثلاثينَ ثانيةٍ ربما.

انتفاضة في كافةِ أنحاء جسدي، أشبه بثورةٍ شاركَ فيها الدماء فتدفق في أنحاء الجسد بمظاهراتٍ تطالِب بتهدِئةِ النفوس، يآزِرُهُ القلب بخفقاتهِ الموسيقية وكان حفل راب مشتعِلةٌ فيه. و كان وقتها كان الحرفُ مؤلفا من حروفْ، كانت الكلمات تخرج منها بخجلٍ، لكني كنتُ أستوقِفُ عند كل حرفٍ لأحاول أن أعبرهُ بسلامٍ وبأكثر وعيٍ ممكن، وكأنه دربٌ طويلٌ عليَّ اجتيازه بأقل خسائرٍ ممكنة، فما اكادُ اجتازُ الأول حتى يأتيَني الذي يليه. لم أكن أدري أن التفاصيلَ تهمني، لكني شعرتُ وقتها برغبةٍ بتفكيكِ جُزيئاتِ الكلامْ وجزيئاتِ اللحظة وجزيئاتِ المشهد. أتذكرُ كل التفاصيل الآن، ولكن أكثر ما كانَ يدورُ بذاكرتي أني قد نسيتُ نفسي بحضرة سموِ الأميرة ريشة.

لقاؤنا كانَ بعد مجيئي من الأردن إلى لبنان، ازدحامٌ في الأشواقِ والمشاعِر، والمميزُ هذه المرة، لقاءٌ لعدةِ ساعات في مكان اخترناهُ سويا هناك حيث وجدتُ منبعَ راحتي النفسية، في أحضان الطبيعة، فكيفَ وهي هناك؟

ريشّة التي وافقت للقاءٍ بعد أُسبوع بذاتِ اللهفة والحب، تحاربُ مجتمعا وبيئة، لتختلِقَ من قهرِ الظروف لقاءً معي، هو بالنسبةِ لها لقاءُ العمر ومغامرةٌ لجمعِ نفسِها أمام شخصٍ أعادَ بِناءَ إيمانها بالحب وكسَرَ حاجزَ قلبِها.

سنلتقي حبيبتي ريشّة ها هناك، العينُ بالعين والقلبُ بالقلِب والوعيُ في خبرِ كانَ.

ترُد ريشة بنبرةِ صوتٍ خافتة:

- عن أيّ وعيٍ تتكلم وأنا في ثوانٍ معدودة كنتُ أحسُّ بحاجتي لجمعِ أجزائي منكَ في كل مرة.

ريشةُ قلبي، ذاك الخجلُ مفقودٌ في الحب في أيامنا، دعينا نحافظُ على تلكَ النعمة التي زرعها الله في نفسِنا. وجودكِ أمامي يُربِكُ نبضاتَ قلبي، أفقِد نفسي ورباطةُ جأشي تتفكّك...فقط أمامكِ، كأنَّكِ متلازمةٌ تُلخبطُ جيناتي، وتُدخِلُ عليها جيناتٍ من الورودِ هناك وأخرى من حلاوةٍ مستوحاةٍ من نورِ وجهكِ.

نعم أضحيتِ ذاك الظلّ الذي يحميني من أشعةِ الاكتئاب وينشرُ بحياتي ورودَ التفاؤلِ والإرادة.

وصلنا إلى المكان، طبيعةٌ وخريفٌ أصفر وسماءٌ موشحةٌ باللون الأحمر، أرضية مفروشة بأوراق الشجر المنقطة بالبرتقالي و قلبي الذي جاءَ باللون الأبيض، أرى الألوان لأول مرةٍ وكأني كنتُ ضريرَها ولكن ماذا عن اللون العسلي المنبثق من عيونِها؟ لأول مرة أحضُرُ لهذا المكان دون كتابٍ أقرأهُ لكنّ قراءتي اليومَ أصعبُ وأجمل.... هي قراءةُ لغةِ العيون والمشاعر. كنتُ أُحادِثُها عن الطبيعةْ، وكم هي جميلةُ الورود.... والإلهامُ في عينيْها جعَلني بالوَصفِ أجود، لا تتكلمي يا قمري أنا لا أنتظِرُ ردودْ، يكفي أنَّكِ أمامي، لا يوجَدُ بيننا حُدودْ. شجرٌ يعانق السماء والأرض من عناقهما تغار، روحي تقفزُ في الأرجاء من فرطِ السعادة، اليوم ريشَة وأنا سويا في أحضان الطبيعة، كان بركان داخل معدتي يتفجر، بقربه أتوهُ منه وإليه، تتشابكُ أصابعي من شدةِ التوتر، كنتُ انظر إلى ريشَة وهي تقتربُ من بعيد، نظراتي كانت تخترقُها كأنها نورٌ أمامي، فتزيدُ عينيّ بريق، يكادُ النظرُ إليهما يقطع الأنفاس. يا سِرّ سعادتي، وكنزيّ الدفين، ريشةُ قلبي، أنت تلك الأميرة من ذاكَ العالمِ السحري، انظري لسحرَكِ ما فعلَ بي؟، بعِشقِ عينيكِ فقدتُ صوابي، فأيقنتُ أني رجلٌ صالِحٌ وأنَّكِ من الله ثوابي، قد وضعكِ الله في عالمي المجنون، كنزٌ بالحبِ مدفون، بستانٌ من الياسمين، في الشمالِ واليمين، فبِتُّ على يقين أنَّكِ فتاةُ أحلامي وأنَّكِ مسارُ أقلامي، وأنكِ في عالَمي المُعتِمِ كنتِ كلّ ألواني.

اقتربتْ ريشَة من بعيد..... وكانَ صمتي سيدَ الموقِف.

نور اقتربَ من بعيد ** لوحةٌ جمعَت كلَّ الفنون
وجهٌ ليتهَ وعيي يعيد ** و سحرٌ وضعَ للحب قانون
خطواتٌ تقترِب وصداها يزيد ** و بكلِ خطوةٍ ازيدُ جنون
اطلَّت فتاتي بوجهٍ فَتون **بتكاوينِها كمٌّ الجمالِ وفير
بكحلةٍ زينَت أعلى الجفون **و جعلت قلبي من صدري يسير
قلتُ كأني رأيتك يوما ** و اصبعي للسماء كان يُشير
قد عرفتُ الآن بغياب القمر ** من كان آنذاك ليلي ينُير
ضحِكت واحمرت وجنتاها ** شهيقٌ جميلٌ تلاهُ زفير
اقتربتْ والشوقُ أعياها ** من تعبِها نصيبي كان كثير
قالت نبضاتي تتسارع ** و نفَسي بصدري يتراجع
قلتُ كلماتي تتنازَع ** و اشواقي إليكِ تتصارَع
قالت اشتقتُ أو تدري ** قلت موطِنُكِ هو صدري
قالت جروحي تتلاحَم ** و اشواقي إليكَ تتزاحم
قلتُ ابتعدتُ وما كنتُ ** أدري على نفسي أتراحَم

إلى ذاكَ الأبد الذي كتبه الله لنا، تقول ريشة، إلى تلك الحدود التي تسمى أفُق، أحبّك. كان الذي بيني وبينكَ الفُ برسيمةٍ رباعية الأوراق، الصدفةُ التي عرفتكَ فيها، وكل الأشواقِ التي تشكل هالةً مُشعة تحيطُ أحدنا بالآخر. قالتْ لي "أحبّك "ولكنها ليست كأي كلمةٍ سمعتُها في السابق، كان كل حرفٍ باتَ يعطي دافعا أكبر لأغوصَ في أعماق الاشتياق. لم تقلها بلِسانها بل خرجَ الصوتُ من قلبِها ولم أسمعهُ بأذني بل استقبلهُ قلبي استقبالًا حافِلًا.

و سمعتُها مرارا وتكرارا
ما سمعتُها بهذا اللحنِ
ما سمعتُها بتناسُقِ حروفِها مع الحانِ دقاتِ قلبي حينَها
ما زال صداها يتكرر
ما زال تأثيرُها تخديرا لحواسي
ما زال رنينُها للقلبِ يُواسي
وما أكثر تخديرا منها
سوى كلمةٍ تلتها حروفُ اسمي
و أدخلت القشعريرةَ لجسمي
قنبلة تفجرت بالحُب
رِدتُ لو اختفَت نونُها
و حربٌ تناشِد السلام
وتعلن ثورةً على رائِها
ليبقى للحُبِ كلام

أُحبكِ اسألي فيها الحُروف، فألِفُ آهٌ بالحنين تطوف، حاءٌ حنانٌ إليكِ يكيل وباءٌ بِئْسٌ خلقتهُ الظُروف، أما بالكافِ فكان الكمال وكانت النجومُ في عينيكِ ضُيوف.

كانتْ المسافةُ بيننا صغيرة لدرجةِ إرباكِ جميع حواسي، اقتربتْ وسألتني عن حالي

- كيف حالكَ قلمُ الروح ؟

حالي ضائع لديكِ، وما حيلةُ حالي أمام عينيكِ، ما حِلّتي وحالي وحالُ أحوالي بعد إرباكِ أقوالي؟

كيفَ أنت أو تســـــألين! أنتِ أنا فكيفَ أكـــون
تكونين متعبةً فهذا الأنـــين أو أنَّكِ بخيرٍ فالألم يـهون
إن شعرتِ براحةٍ أكون بِخير فارسٌ شجاعٌ يجـولُ بخيل
أو شعرت بتعبٍ ينشغلُ البال شارِدٌ كئيبٌ وهــمي جبال
فإن كنت تسألين عن حـالي فأنتِ نفســـي في حالي
الخلـــــيفةُ أنت والوالي وأنت بفُقري أمـــوالي
فقولي أنت كيفَ الحـــال وبالإجابة تكونُ أحوالي

أنا بأحسنِ أحوالي، تجيبني **ريشَة**، ما دام وجودكَ ينيرُ أيامي، ويُدخل الدفئ إلى قلبي، كأنكَ أنت الحب وأنت العِشق وأنا بكَ أشعر، بتّ تكوين أحرفي وليتكَ في تكويني تُحبس.

في ذلكَ اليوم انتهى اللقاء، وقلبتُ الساعةَ الرملية التي لعنَت ضيقَ خصرِها وكيفَ تقوم رغم العذاب كل رملةٍ بحصرِها. أما أنا لعنتُ الغياب وبدأت أحيكُ رواياتٍ بدمعِ العينِ مروية، فسألت نفسي أين همومي ومن سرقها؟ أين مشاكلي والعذاب؟ أوجاعي كانت في حضنِ هواها منسية، في عيوني التي تركتُها في ذاكَ النهار مرمية، تجول في تفاصيلٍ كانت نسيما عابرا، ولجميع الناس كانت غيرُ مرئية. لكني أنا فقط كنتُ أراها وأسمعُها، ووقعتُ مع رشدي في خِصام ورحت في خبرِ كانَ أعيشُ نوبات الفِصام.

كيف الهروبُ منكِ عزيزتي .. كيف الهروب
أشرقَ نورُكِ في فجرٍ .. والجبلُ اشتاقَ الغُروب...
قولي لي كيفَ السلام .. كيف البوحُ والكلام
من ذاكَ لأجل عينيكِ .. لم يطمح هولَ الحروب
كيف الهروب منكِ أميرتي .. كيف الهروب
شمالا سكنُكِ في صدري .. من شمالي غارَ الجَنوب
قولي لي أين الدواء .. كيف استنشاقُ الهواء
كيف وأنتِ أمامي .. تموت كل النساء
كيف الهروبُ منكِ أنيستي .. كيف الهروب
و كلما مررت بقلبي .. قلبي كالشمع يذوب

ها قد بدأت تمرُ الأيام بينَنا، شوقٌ يزيدُ مع كل ساعةٍ تمُر. بدأت أقع في حبِ تِلك الفتاةِ المجنونة، وهي تبادلني هذا الشعور. أو ربما لا.... لربما هو فقط مجردُ فائضٍ من الارتياح، التعلقِ، الانسجام، الاكتمال، الادمان، الانجذاب، السعادةُ، الفرحُ والهِيام. حسنا ليست تلك عوارِضُ حُب، هي عوارض العِشق. زلاتُ لِسانٍ تقابِلُها زلات، حبيبتي قلبي وعمري أُحبكِ، أميرتي الجميلةُ والمدللةُ أنتِ، أنا لكِ هذا البطلُ الاسطوري.

لا زالت صورتُكِ في ذاكَ اليوم لم تُفارِق مُخيلتي، ولباسُكِ الجميلُ بلونيَ المفضلُ، ما زال يراوِدُني ويعاودُني، ويسحرني ثم ينتشِلُني رجلا عاشِقٌ لتفاصيلكِ الصغيرة. سيدتي، أنت هي من دخلَتِ قلبي بأعجوبةِ القدَر، أحبّك حبيبتي.... لا تبحثِ عن الأسباب، أميرُكِ اليومَ قد حضرَ، أحلامكِ أنا لها فارِس وبسمتُكِ أنا لها حارِس، كوردةٍ بنفسجيةٍ في قلبي أنتِ، وأنا لجذورُكِ بالشرايينِ غارِس، من صميمِ القلبِ والوريد، قلتُ لكِ تِلك الكلِمة، ويوميًا لكِ سأعيد وأعيدُ وأعيد، والشوقُ بحروفِها سيزيد ويزيدُ، أنت هي من أضفتِ لعمري عمرا فيه الفرحُ جديدٌ وجديد. هذا ما نطقه قلبي وهذا ما كانَ يريدُ ويريد...

- صوتُكَ الخجولُ ينقُلني إلى تِلك الطبيعة بخضارِها، نغمةٌ موسيقية كلاسيكية كالتي لحّنها "بتهوفن" تحت مَسمى سيمفونية ضوءِ القمر، أسطِرُ تِلكَ الكلماتْ بشوقِ اللقاء بكَ والعشقِ الذي لا يزول؟، تجيبُني ريشة.

- المسالةُ تحتاجُ فقط بعض الوقتُ وهذا الأخير هو ضريبَة الحُبِ والغرام، جاوبتُها متأمِلا بعينيها ومتأمِلا بالخلاص . نعم، الحب حقا يحتاجُ إرادة والإرادة تحتاجُ وقت والوقتُ لكِ مفتوح... قد صدقَ جُبرانُ ريشتي، أنت

لستِ على قدرٍ من الجمال بل الجمالُ على قدرٍ منكِ، تعالي ريشة نعيشُ جنونَ الحُب، نتخطى المحظور، نثورُ على ذاك المجتمع الكئيب والذي قد تعوّد على الحرب، ننشرُ الورودَ بحبِنا، نجعل لونها احمرا بدل لونِ الدم، نوزِع ثقافة الحبِ أجيالا وأجيال.

أنا حبيبتي لم أقع في حبكِ، أنا سيدتي الوحيدُ الذي في الحبِ ارتفَع، كيفَ الوقوعُ وحبكِ يرفعُني إلى أعالي السماء، إلى أعلى مراتبِ السعادة، إلى أقاصي درجاتِ الجنون.

- كثيرٌ من الشِجارِ والنكد المعترَف بهِ، هو النكدُ الجميل أنا ملِكةُ النكَد، تقولُ ريشة، هو مِلحُ النِساء كما هو الكذِبُ لديكُم.

- لن يُضعِفَ هذا حبي لكِ لحظةً ريشَة، رُغمَ كل الخلافات التي تحدثُ بعد تنكيدِك، ثم أن الكذِب ملح الذكورِ وليس الرِجال، جاوبتها مستنكِرا.

- أعرف أن تلكَ الخلافات سيستمرُ أقصاها بضعَ ساعات قبل أن تُمحيها بضعُ كلماتٍ من الحب والغزلِ الصادق منكَ، تجيبني والثقة تملأ حديثها. هذا ليس عادلا.... رددتُ عليها محاولا إخفاء بسمتي، أنت تلعبينَ على نقطةِ ضعفي.

حسنا إذًا، فليكن، فلديّ أيضًا شُلشٌ من النكدِ.... أضفتُ ببسمةٍ انتقامية.

كنتُ أدركُ تماما أن النكدَ اليومي ينبعُ من الحبِ الصادق وهو يُبعد الروتين التي نراهُ في معظم علاقات الحب والتي تكون سببا لتفكُكِها.

كنتُ أراها ملاكا طاهرا، لم تكُن فتاةً معتادة كباقي الفتيات، لم تكُن يوما صديقة، كانت مفاهيم الصداقة تتلخبطُ بوجودي أمامها، لكنها كانت

صديقة روحي وحبيبتي وأمي وأختي وأبي وأخي، كانت تعويضا من الله في السماء.

كنتُ شخصا تحيطهُ الكثير من الفتيات، لكنها وحدَها من كانتْ تثيرُ اهتمامي وتثيرُ قلبي على الانقلابِ على روتينهِ، تدغدغُ بلطفٍ مشاعري، تُدخِل نسمةً خفيفة من السعادة على مزاجي، السعادة التي يُخيلُ لي هي ذاتها التي تمتلكُها الحشيشة كما يقولون، بمفعولها الذي يجعلُ الشخص يطيرُ في مكانه دون أجنِحة. نعم، يبقى الحبُّ المتكلم الأخير، والاتكاءُ على صدري يبقى موطنُكِ ويبقى شعورِكِ اتجاهي الأقوى وشعوري فيكِ الانقى ويبقى صدى نبضي يرتطمُ بصدى نبضكِ ويولد طاقة البقاء. إنها علامة أخرى، والنصفُ قد اكتمل، العلامة العاشرة وهو **الأمان** الذي كنت أشعر بهِ، ذاك الذي يُشعركَ أنك لن تصابَ بمكروهٍ نفسي مدى الحياة.

أُحبكِ أعشـــــقُكِ لارا لا تلـــومي قلبي أن ثارَ
وبين الحُبِ وبينَ العِشْـــق لا تســأليه إن حــــارَ
أعيشُ من الشـــوقِ ضائع في الــــروح فتيلٌ ونارَ
هائمٌ بالتفكـــــير فيكِ اســــألي الصديقَ والجارَ
ســـــعيدٌ أنا بين عينيكِ و منكِ القــــمرُ قد غار
شعورٌ قد ســادَ في نفسي من الفرح قلـبي قد طارَ
أعدُك جانبَكِ سأبقى لو الزمنُ عليَّ قد جــــــارَ
أُحبكِ ســـتبقيْنَ في قلبي لو الموتُ نحوي قد ســارَ
فتزينين حيـــاتي بالفرح و تنشرينهُ بالبيتِ والدارَ
إلى حينٍ قد مِتُّ فيـــــه و الدودُ قبـــــري قد زارَ
فتبقى روحي تعشـــقُك وخيالي يبقى يلحقُــــني
تارةً يحمي دمعتــــــكِ و يُقبِلُ جبينَكِ تــــارة

هو الله بيننا ريشَة، هو الذي في قلبي وقلبكِ، هي نعمةٌ في أرواحِنا والفطرةُ التي زرعَها فينا الربُ فينا، والحب لا يكونُ دون وجودِ الله في قلوبنا، **خذي مني الحادية عشر** "الحب هو الإيمان والرسالةُ الأسمى "

حتى بمفهوم الحُب البعيد عن العلاقة العاطفية، هو رسالةُ الأديان على اختلافِها بغضِ النظر عن التشويه الذي يُظهرُ عكسَ ذلك، وإني قد اكتفيتُ من نِفاق البشر ومن الغباء المتفشي في السياسة واستغلال الاديان، اكتفينا من المظاهر الكاذِبة.

أذكر خلال عودتي في الأمس من مجلسِ عزاء لأحد الأصدقاء الذي ذهبتُ لأعزيهِ في وفاةِ والدهِ حيث كان يُتلى مجلس يتمُ الحديث فيهِ عن استشهاد الإمام الحسين، رأيت النفاق بأمِّ عيني، لم أعهَد أن أرى أشخاصا أعرفهُم سليطي اللِسان، دائمي الغيبةِ والنميمة يبكونَ استشهادَهُ، هكذا مجتمعُنا مجتمعُ المُظاهرِ الكاذبة.

لطالما عرفتُ أن رسالة الإمام هي رسالةٌ لعدم السكوت عن الباطل ومحاربة الظلم ولكن أين الناس من هذه الرسالة؟ وأين هم من المحبة ومحاربة الظلم والفساد في بلدٍ أقل ما يقال عنه أن شعبهُ قطيعُ خراف أمام رعاة الحكام الظالمين؟

أذكر جيدا حوارًا دار بيني وبين أحد الخواريف الذي كانَ يطلبُ مني أن أكون خروفا مثله ربما، يأكل العشب نهارا ويعود إلى حظيرتهِ مساءً، والذي كانت ربما مقالاتي على الانترنت تزعجهُ لدرجة أصبح يشعرُ بالقلق عني ويهمهُ أن أبقى مرتاح البال أو ما أدعوه أنا بالتنبلة.

بلادي بلادٌ عربية
سُئِلتُ فيها ذات يوم
لماذا رأسك توجع؟
و تبعِدُ عنك هناءَ النوم

مسكينٌ من كانَ يسألني
صفنتُ بوجهه العابِس
أجوابي من جهلِك ينقِذني!
ويصحىَ ضميرُكَ اليابس

جاوبني نفسُكَ من تخال
معاداةُ زعيمي مُحال
كيف عن جنابِهِ تتكلمْ
و سيفُكَ عليهِ تطال

قلت هدِّئ من روعك
أخاف مرارتَك أن تفقع
رأيت الكثيرَ من نوعِك
تعَوَّد بالقاع أن يقبعْ

اجلس حاورني يا هذا
أنا من حاورني جنى
ضحكتُ وقلتُ في نفسي
عليهِ براقِشُ قد جنى

سألته من يُزيلُ الجهل
و يساعد كبرة ذاكَ الكهِل
إن كان زعيمُك غافل
وأنت تتبعهُ مثل البهِلْ

من لكرامتكَ رحيمْ
و صحتكَ بخيرٍ يُديم
إن كان أموالكَ باعَ
وصوتُكَ لبيعتهِ كريمْ

كيفَ عن فساده تغفَل
و تراه وليٌ عظيم
و إنسان واحدٌ في وطنِك
لم يبقَ صاغٌ سليمْ

عزيزي نفسُكَ لا تخدَع
تتجاهلُ وانتَ العليمْ
تتوهمُ أعطاكَ الجنَّة
وأنت ساكِنٌ في الجحيم

استوقفتني بعينهِ دمعه
لكنهُ أصرَّ على الموقِف
و فجأة نورُ الدار انقطعْ
و بخجلٍ أشعلَ شمعة

كم نحن بعيدونَ عنْ رسالة المحبة، كم من شخصٍ ذهبَ يبحثُ عن الله بعيدا وهو يقطنُ في قلبهِ... لربما العامل المكاني والزماني جعلَ الناس يصدقون الوهمَ فقط لأنه طريق الأكثرية أو أنه طريق من يظنونَ أنهم من المفترض أن يكونوا المثلَ الأعلى لهم من حُكام ورجال دين وأشخاص ذوي السلطة .

من ذا الذي لا يمتلِكُ فائضا من المشاكل وهو قابعٌ في دولةٍ عربية مثل لبنان؟ من ذا الذي لا يتآكلُ رأسهُ كلَ يوم من كثرة التفكير والهموم؟

ما الحلُ مع الأشخاص عديمي الضمير الذين لو امطرتْ السماءُ شرفا وضميرا لوضعوا مظلاتٍ فوق رؤوسِهم الفارِغة.

ما حال جيراننا العرب؟ أني أرى بعضهم يُطبِّعون مع الاحتلال وآخرون يتغنونَ بوجع فلسطين واناينِ غزة... ما حالُ مِصرَ وسوريا والاردن والعراق واليمن...حروبٌ دينية استعمارية والاخ ينهشُ لحم أخيه، والظالم طليقٌ فوق المنابر والمظلوم صامِتٌ يُثابر.

كيف نكتُبُ الوصية، أن وقعَ الوطنُ ضحية؟

كيف نكتبُ الرسالة، أن كانَ بالحُكم حُثالة؟

لم يبقى مكان للطرب.... نوما هنيئا جميعُ العرب...

بعيدا عن هذا أني رأيت اليومَ راحتي النفسية في لمعةِ عينيكِ وابتسامةٍ ألماسيةٍ من ثغركِ الوهاج فسلامٌ على العرب وأهلا بعينيكِ....فانتِ الوحيدة دولتي التي أريد الاستقرارَ فيها والعيشَ بسكونٍ داخل قُراها.....أريدُ أن اهاجرِ بين تكاوين وجهكِ واعبُرَ بِحار عينيكِ وأطير حرا بين غمازاتكِ وخدودُكِ الوردية..

أُحبكِ ريشةَ قلبي بين أروقةِ الطرقات الحزينة وأحزمة البؤسِ المُلقاة على أطراف المدينة.....أُحبكِ، في ليلةِ عيدٍ، وبسمةِ طفلٍ بريءٍ للزينَة. كنغمةٍ عُزِفتْ من قلبٍ عاشِقٍ مغرومٍ ملهوفٍ إليكِ..

كنوتةٍ موسيقيةٍ ثارتْ وخرجَتْ من سُلُمِها، وقرر القمرُ لي أن يُسلِمَها..... نجوتُ من حربِها، كيف أنجو من سِلمِها؟ وهي من إذا لاقت المُلحِد أسلمَها، وإذا لاقتْ الأبكمَ كلّمَها،

وإذا لاقت الكفيفَ أبصرَها، والمشلولُ لاحقَها....

هونٌ على قلبي...لومٌ على جمالِكِ، صومٌ على الخطايا، دقيقٌ في خُطايا إليكِ إلى أن أصل.... وألفظَ أنفاسيَ الأخيرة.

نعم أُحبكِ في كومةِ الخراب التي أعيش فيها في بقايا وطن يحتضرُ بين جبالِ النفايات البشرية.... أُحبكِ بين اصواتِ الرصاص وسحابِ الصواريخ وظلامِ النهار، علهُ وعسى يكون حبنُا الخلاصَ إلى عالمِ الورودِ والسلام.

في أواخر ساعاتِ شهر ديسمبِر، كنتُ وكما جرت العادة أسهرُ مع عائلتي في احتفالية توديع السنة، لطالما كنتُ شخصا إيجابيا ولكنها سنة تمنيتُ ألا تتكررَ في حياتي ففقدانُ شخصٍ كان بمثابة أخ لي وهو صهري، خطيب "وردة " الشابْ الذي غلبهُ المرَض وشكل نقطة تحولٍ في حياتي فأصبحتُ أرتعبُ من فكرةِ الموت والفراق ويؤلمني سماعُ وفاة أيّ شخص حتى وإن لم تكُن تجمعني علاقة شخصية بهِ.

نقطة التحوُل الثانية هي تعرُفي على "ريشة" الفتاة التي شكلّت لي هاجسَ الاستمرار والتفاؤل والحُب، بعد قصة حبي السابقة. لا شكَ أن هذين الحدثَيْن هما ما شكلا سنتي وجعلا بحياتي تحوُلا عاطفيا جذريا.

ريشَة ودّعت سنة كانت أشبه بفيلم أمريكي خيالي من الدرجة الأولى، "قلم" قد رسَم ألفَ حدثٍ يدور حول فلكِها، سرقَها من دُنياها إلى عالمِ عشقتْ فيهِ شمس التبريزي وجلال الدين الرومي وصدفةٌ جميلة التقتْ في عالم الخيال الواقعي بقلم يخط خطوطا في الهواء كأنه يسعى لأنهاءِ مكنوناتهِ من الرصاص.

جمالٌ ربانيٌ عزَّ وجل
و مِنها جمالُ الروح يفيض
وصوتٌ منها في قلبي زجل
يداوي المزاجَ والقلبَ يُفيد
وجاذبيةٌ فيكِ يُرْسيها نجَل
وكيف قلمي عن وصفكِ يَحيد

أميرتي أنت ريشّة، لكِ في فؤادي عرشْ، مملكتُك قلبي، استوطنتِ قلبي، عقلي، وجدًاني، مشاعري وتفكيري حتى بدوتُ كأني مريضٌ فيكِ، ذاكَ المرضُ الذي لا أريد الشفاءَ منهُ، ذلكَ الإدمانُ الجميل الذي يجعلني في السماء أطير. أُحبكِ نعم، كلماتُ العشق حبيبتي لم تعُد تكفي...هلا اخترعنا كلماتٍ جديدة، يا راحتي النفسية وأوجاعي المنسية.

تعالي حبيبتي إلى قلبي ولتتلاقى الصُدور، لن تكونَ قصتنا كلاما على السطور...اني اطوف حولكِ وحولَ عينيكِ ادور، أني من فرطِ حبكِ على الناس أثور.

حنونٌ أنا عليكِ، هائمٌ فيكِ، أنت تلك الوردةُ البنفسجيةُ التي قلّ وجودُها، تعيش في أقصى السماء، والجمالُ حدودُها.... ما رأيكِ أن أكون أنانيا وأضعُ لكِ حدود، فأكون جنوبَك وشرقَك وشمالكِ وغربكِ فأضعُ للشباب سدود، يا أميرة قلبي وملِكتي المُدللة.

ريشةُ قلبي، أريد أن أقول لك اليومَ حقيقة، بمشاعِرٍ دقيقة وأحاسيسٍ رقيقة أُحبكِ ريشّة، أعشقُك...لن تكوني لأحد غيري حبيبتي، قد اخترقتي قلبي دون اذن، فلتضعي كلامي هذا حلقا في الاذُن، لو حتى رأيت الليلَ إلى النهارِ راحل، أو التقى يوما ما الجبلُ بالساحل، قلبي عن عشقكِ لن يكون زاحِل. فليتلاقى الجسد بالجسد، والروحُ بروحي فلتندمِج فيزدهرُ البستان وتتعمرُ الأوطان وتنجلي كل الأحزان.

كنتُ أعتقِدُ أن الوطنَ قد يأتي على هيئةِ بشر، تقول ريشة، إلا أنني ايقنتُ هذه الحقيقة منذُ أن عرفتَك فأصبح قلبُكَ موطِني وعيناكَ نافذةُ أحلامي.. قبلُكَ لم أكن سوى مشرّدةٍ بين حُطامِ الحياة البليدة، وجودُك أحيا مشاعرٍ عنيدة، خضعتْ طوعا لهذا الحب. كصلاة موقوتة، تُشعِل نار الشّوق المستجيرة في جسدي، لرؤيةِ معشوقٍ يُطفئ جمرَ الفُرقةِ ورغم أنه يسكن هنا بين اضلُعي، طيفُه لا يفارِق ذاكرتي منذ اللّحظةِ الأولى التّي لامست روحَه روحي.

في كل مرة أنظُر إليكَ قلَم، اغوصُ في أبسط تفاصيلكَ، استمِع لاصغر الأمور التي تقولُها، اشاركك جميعَ لحظاتكَ التي يضحكُ فيها فمكَ بطريقة جميلة جدًا.

إنها **التفاصيل**، الاهتمام أدق التفاصيل، وهي العلامة **الثانية عشرة** ولولاها ما عرفنا قيمةَ الحب، فالكل ربما سيحبني من بعيد ولكن حينَ يبدأ حبُنا بالولوجِ إلى التفاصيل الدقيقة عندها يكون حبا حقيقيا مقدسا وحين نخرجُ منها، خرجنا من اطارِ العلاقة الناجحة.

التفاصيل هي أساس كل شيء. نحن نرى يوميًا قصصا من هذا القبيل.

اليومَ ستُحضِّرُ لكِ ربما والدتك الطعام..... يمكنك أن تحبيه كطبقٍ تم إعداده أو أن تدخلي بتفاصيل إعداده... كمية الحب، العطاء الراحة والمحبة....ثم أعطِ رأيك فيه؟

كل شخص ممكن أن يرى فيكِ أنثى ويُعجبَ بكِ ولكن قلةٌ هم من سيكتشفُون تفاصيلكِ ويعشقونكِ بها.

ميلادي هذه السنة كان مميزا للغاية، ربما ليس فقط ميلادي بل حياتي كلها بعدَ معرفتي بها، مميزة لدرجةٍ أتوقعُها لأنَّكِ معي ولا أتوقعُها لما فعلتهِ في قلبي. مميزةٌ لدرجةِ أني أشعر الآن فقط بمرورِهذا اليوم في شهورِ السنة. كيف تنقلينني إلى ذاك العالم ريشَة، عيناكِ أقوى من نبيذ خالِص، ووجهُك مخدري الوحيد وها أنا قد أدمنتُ وجودكِ في عالمي.

صرتُ أخاف حبيبتي المرورَ معكِ أمام حاجزِ عسكَر، أو قيادة سيارةٍ وأنتِ بقربي، أخاف يوما أن يستوقفني شرطيٌ بتهمةِ القيادة تحت تأثيرِ عينيكِ. كيف أصِف هذا اليوم حبيبتي ريشة، أنا اولدُ من جديد مع كل ابتسامةٍ

منكِ، مع كل نظرةٍ وكل غمرة، تعيديني ابتسامتكِ وثغرك الساحِر إلى عالمِ الطفولة الهادئ حيث لا مكان للهموم.
لا أدري حبيبتي قدْرَ محبتي لكِ، لكني أعرفُ أنكِ قدَرٌ قادِرٌ هائمٌ ساحِرٌ مهيمنٌ بداخلي، موجودٌ موضوعٌ مشدودٌ بأضلاعي... أُحبكِ.

أنتِ قمرُ المنظومة
و لغيرِ عينيّا محظورة
أنا شاعرٌ بغيرِ عينيكِ
أبياتي غيرُ منظومة

نعم... ماذا عن ميلادكِ ؟ قلتُ لها
أنتِ جئتِ أمنيةً كتلكَ التي يتمناها طفلٌ صغير عند سقوطِ أحد اسنانه، أو تلكَ الاستجابةُ التي وصلت بعد الرسالة التي أرسلتُها في الطفولة في البريد لسانتا كلوز فوجدتُك وردةً موضوعةً قرب الشجرة وكنتِ الميلادَ المجيد. ترد ريشة....قلمٌ ينسجُ أحرفا من خيوط الحُب فينيرُ ظلمةً الطريق.. يُشعِلُ في قلبي بركان العِشق بتكاوينٍ تحملُ لمعةَ عينٍ وبريق. خفقة قلبٍ لهُ وليست لغيرهِ تليق.

اليومَ وُلدَ القمر
وزدتِ بالعمر سنة
و جمالُ الكونِ بأسره
أمام عينيكِ انحنى
و في هذا اليومِ
يومُ ميلادكِ
يومٌ فيهِ الجمالُ مجموع
قولي من بجمالكِ
وقد كُسِر القالب
و القالب لفراقِ جسدكِ موجوع
فهل خرجتِ من رحمِ أُمٍ
أم من رحمِ الجنةِ جمالك مزروع
هل فارقكِ حبلٌ سريٌ
أم من الشوقِ
أبى أن يكونَ مقطوع
هل سبحتِ جنينا بماءٍ
أم صارت لفراقكِ المياه دموع
يومَ قررتِ الفُراق
بكى الوريدُ والرحَم

مِن جمالكِ عرِف الجميع
على الورْدِ كان الوحَمْ
في وقتِها صُنع القدر
وجمالٌ على الكونِ حضَر
و صرختُكِ الأولى في المهِد
صوتٌ من الروحِ صدَر
صغيرةً كنت تسحَرين
ما أجملك في الصغر
فرحةُ في القلبِ تحفُرين
والكلُ تمنى لو غمر
وبدأت الآن تكبرين
و قدري بيديكِ ترسمين
بجمالك صغيرةً تسحَرين
و ازدادَ السِحرُ في الكبَر

كنا نتشاجرُ في كلِ ليلةٍ ونهار، كنتُ أدركُ تماما سبُلَ إغضابِها وتدركُ هي أيضًا ما يُبرِزُ معالِم شراييني.... فكُنا تارةً نتشاجر حولَ ما إذا كانتْ السماء زرقاء أو بيضاء، أو ربما من سيجعلُ الآخر يرى العينَ الحمراء أو من ذاكَ الذي يرمي الحجارة وبيتهُ من زُجاج أو فيما إذا كانتْ النملةُ لحمَةً أو دجاج.... كلُ ما كنتُ أعرفهُ أنه لمجردِ حلول صوتِها على مسمعي...اذابت ذاكرتي وأصابتني بداءِ الخرفِ والنسيان حيث لا حدودَ لذاكرةِ المكان والزمان سوى عيونِها وموسيقى بصوتِها بمواصفات تخديرية شامِلة وصورةٌ أسافرُ فيها إلى شتات الأرض والأماكن.

جدًاديلٌ من شعرِها الكستنائي حسمتْ بوقتِها الجدًال، ما ذنبي أنا بانهياري؟ لو راتها لانهارت جِبال...و ضعتُ وقتها كُرسيا وفوقهُ تدلت حِبال، أيّ انتحارٍ اختار؟ قويا كنتُ نفسي أخال...ضعِفتُ بين عينيْها وذبلةِ جميلِ جِفنيها...أوقعتُ جبلةَ العيونِ تحت، لعليّ قِسطَ الهواءِ أنالْ..

فوقعتُ في حيرةٍ من أمري... هل أنا واقِعٌ أم خيال، هل هذا حرامٌ أو حلال؟ هل بدرٌ أمامي أم هِلال؟ هو غزوٌ كان أم احتلال؟

فتحسستُ نفسي بإصبعي، أملًا ما حدثَ أعي....

رأيت نفسي بين السماءِ والأرض، بين يابسةٍ وبحارفحاولتٌ استعادةَ ذاكرة المكان ولم أدرِ وقتها ما كان... هل أنا ضائعٌ بين الريفِ والمدينة أم بين ريفِ عينيها؟

فؤادي من الفرحِ رقصَ وعرفتُ للمرةِ الأولى، ما هي أحلام اليقظة.

تلك هي مكانةُ ومتانةُ العلاقة....بحيثُ بالرغمِ من أني لستُ أرى الحياة زهريةً أو كما كنتُ أعتقدُ دائمًا باستحالة أن تكون مثاليةً أيضًا...فقد

كنتُ أراها بكل الاختلاف والخِلاف جذابةً وجميلة... ولم تقِّل يوما عن كونِها العامِل الذي كان يُكملُ يومي والحد الفاصِل ما بين السعادة والاكتئاب، ما بين العذابِ والخلاص.....ما بين الحياة أو الموت...

ما لهذا الحب النقي؟ بدأت صورتي للحب تتضَح.

الحب هو أن تشعُرَ أن قطعةً من جسدكَ ونفسِك منفصلةٌ عنكَ وتُكمِل قطعةً منفصلة أخرى بشخصٍ آخر الذي بدورهِ تسكنُ قطعتهُ المنفصِلة فيك. ذاكَ هو جوهرُ الحُب وذاكَ هو العشقُ المحتم... وإني بذلك أشهد أنَّكِ ريشتي، تمتلكينَ قِطعا مني في المواضع التي قررتْ الرحيلَ عنكِ والسكونَ في داخلي وفي روحي. ووعدٌ مني سأحافظ على نفسك بداخلي وعلى روحكِ بحالي.

ما أشعر حينَ أحاكيكِ
بسمةً ترتسِمُ في وجهي
أشعر بقلبي ثائِر
هو القلبُ يناديكِ
يا ريشةُ قلمُكِ حائِر
وجِئتُ اليومَ اشكيكِ
من قلبٍ على نفسي جائر
أهذا الأمر يرضيكِ؟
فدعيني أشكوا لكِ قلبا
يفكر دائمًا فيكِ
في التركيزِ قد ضاعَ
ومن الخيالِ يحميكِ
صرعٌ في رأسي قد سكنَ
ومن مِن صرعي يُنجيكِ
والله لو كان الموتُ دربي
فبكل حياتي أفديكِ
فقولي كيف العشق قد ساد
وهل مثلي الهواءُ يروميكِ
كيف من ذهَبَ إليكِ عاد

و كيفَ من راك ينْسيكِ
كموجةٍ أنا في بحرِك
وهول الموجِ يُرديكي
فكيفَ أتمالكُ نفسي بعد
و أنا أحترق بنار البُعد
كيف بعدَكِ حالتي تكون
كيف أحظى ببعض السكون
أرجوكِ تفهمي موقِفي
في موقفِ قلبكِ أريد الرُكون
فافسحي لي بعضَ المجال
ودعيني انهي النزال
ارسمي قبلة على الجبين
فجري هذا الحنين
مختصر هذا الكلام
كلامٌ كان في حلقي
ريشةٌ أنت في قلبي
وخفقةُ دمكِ ريشة

هكذا أصبحت... شهور بيننا كانت، لقاءاتٌ قليلة وحبٌ كثير، سكنتْ عقلي وروحي وبتُ أراها في أحلامي يوميًا.

اليوم رأيتكِ في المنامْ وكنتُ أغُطُ في نومٍ عميقْ، عمقٌ يُشكِلُ للروحِ سلامْ، كطبيعةٍ يكسوها هواءٌ طليقْ، لم يكن في المشهدِ هناك كلامْ وكان الغلامُ بالنجومِ لصيقْ.

عمقُ نومٍ ايقظهُ صوتُ فؤاد واستفقتُ لدقاتِ قلبي اللَهِف والدقةُ باستعادةِ وعيي تزداد، وتمنيتُ نومَةَ أصحاب الكهِف.

في نومي كنتُ قد رأيت منامْ
مكان جميلٌ يفيض ورود
وردةٌ واحدة خطفتْ روحي
وأجادت عينيّا فيها الشرود
التقيتُها صُدفةً وأيّ لقاءْ
سحرٌ إلى الجنونِ يقود
جسدي مع روحها أراد البقاء
واجتمع حنانُ الكمانِ بِعودْ
من يصِفُ وقتها أحساسي
لما رأيت احمرار الخدود
وعدتك شعوري سيصمد
يا وعدا ماتَ بين الوعودْ
في قلبي نارٌ اشتعلت
كيفَ يكون لـ جمري خمود
اقتربتْ وقبلةٌ افتعلت
وضعت على نار القلبِ وقود
وبلحظةٍ خانتني أنفاسي
كيفَ بعدُ هوائي يعود
عرفتهُ بعد الشهيقِ يخرُج
نزل بصدري دونَ صعود

و كان الزمن قد وقفَ
ما كان حينَها للوقت حدود
تجمدت في الساعاتِ عقارب
و فاقتها دقاتٌ قلبي جُمود
فكيفَ ارجُلي تحِملُني
و كيف حيلتي والصمود
أنا حتى أن تمنيتُ موتي
رأيت بين عينيكِ خُلود
أنتِ حربي ومعركتي
لا تضعي بوجهي سدود
والله لو كان الحبُ حرب
لأرسلت إليكِ الأشواقَ جنود
قد مرَّ الوقتُ بلمح البصَر
من قبلها كانت الثواني عقود
بفؤادي لم أعرِف ماذا حصَل
قد أرسل دقاتهِ إليها وفود
لم يكن وقتَها اللقاءُ حُلم
بل كان حلما هذا اللقاء
غرامكِ لا يحتاجُ عِلمْ
بعيني سأحفظُ هذا النقاء

حتى أصبحتُ الآن أمام تاريخ متكرِر كان يحمل ذكرى سيئة منذ سنتين، هو الرابعُ عشر من فبراير ولكن هذا التاريخُ اليومَ مختلفٌ بالنسبة لي.
بعضُ التخطيط، بعض المساعدة وبعض الذكاء كانت كفيلة لخلق لقاءٍ في يوم عيد الحُب، قد أصبحتُ أؤمن بجمال تلك اللحظات المسروقة وبدأت احضر لذلكَ اليوم الذي سيكون أول عيد حب لي مع ريشة.
لا شكّ أن هذا العيد له ذكرياتٌ سابقة لديَّ، فمنذُ عامين، وفي مثل هذا الوقت كان ارتباطي بـ"ريدا" حبيبتي السابقة أو التي لم تعد حبيبتي ولم أعد أتواصلُ معها بشكل كلي، قد حانَ الوقتُ لخلق ذكرى جديدة، لقاءٌ يؤرخ لذكرى في المستقبل ليومٍ لن ينسى.
حلمي يتحقق الآن، لم يعد يعنيني الماضي والذي أصبح كوردةٍ مريضةٍ تم قصُها ونمى مكانها غابةٌ من الأزهار والورود التي تملأ حياتي عبيرا.
لقاءٌ في قلب الطبيعة، في ذاك المكان نفسِه الذي أصبح يخلد كل ذكرى بيننا، المكان الذي أذهب إليه حينَ أكون بمزاج متعكر، في منبع راحتي النفسية....هو ذلك الديرُ الجميل.
لم أفكر كثيرًا بهديتي لها، وما هو أجمل من قصيدة مع بعض الورود وتذكار متواضع عبارة عن عقدٍ فضي محفور باسمها، كما حُفرَ في قلبِي في لقائنا الأول. قنبلة من الحب مسلوبة النون وحربٌ من المشاعرِ مسلوبة الراء، يوم هو كالأحلام الليلية كقصص الجدة في أواخر نهارٍ كان مرهِقا لأحفادها. والطقس الماطر اضاف لهذا اليوم لمسته الرومانسية كقصص الحب

الخيالية... كمشهدٍ يحَضَّر خلف الكواليس حيث توضع المؤثرات الصوتية والنظرية.. ولكنها لم تكن كواليس بل كانت من صنعِ القدر الجميل.
كيف لذلك النهار أن يكون كباقي الأيام، وأنتِ برفقتي. كمن انتظر هطول المطر بعد قحط.
تحت المطر سالت مشاعرنا لتحوِل مطر السماء إلى ورود تُنثرُ من حولِنا.

هو يوم من الحياة قد سُرِق بمكان هادِئٍ عن العالِم بعيد
قلمٌ للقاءِ ريشة قد حُرِقَ و يوم اللقاءِ يومٌ مَجيد
الفرحُ صباحا بابي قد طَرق كدواءٍ سحريٍ من العُمرِ يزيد
ريشةٌ وقلمٌ وطقسٌ جميل و جوٌ بارِد إلى الدِفئ يميل
أشجارٌ وخَضارٌ بكل الجِهات و أمامنا نبعٌ مِنه الماءُ يســيل
أهديكِ اليومَ من أحاسيسي كِلْ والعشــقُ مباحٌ واشواقي سيْل
سأخطو إلى العشقِ بكل ثبات خطوات واثقة كحوافِرِ خيل
وأهديكِ مع قصيدتي ورود و حلوهٌ مِثلَك لذيذةُ المذاق
و الحلوة بين شفتيكِ تذوب و قلبي بهذا إلى الجنونِ يُساق
كروح بسحرها عن القمر تنوب لم يعد البعدُ بيننا يُطاق
و عقدٌ فُضيٌ باسمٍ جميل يُطوِقُ عُنُقَكِ فيزيدُ جمال
قريب هو إلى قلبِكِ يَميل و القرب إلى الفؤاد كمال

وفي جوٍ عاصفٍ في ذاكَ المكان وبخطوات بطيئة وبزخاتٍ من المطر حيثُ يكتملُ الجو رومانسية، ضممتُها إلى صدري كأنني أحميها من بردِ الطقس. دارَ بيننا حديثٌ تقاطعهُ اصوات الأمطار التي تتساقطُ في البحيرةِ أمامنا فتزيد اللوحةَ كمال.

- هل تشعرين بالبرد؟

- "أيّ برد هذا وأنا متكئَة على صدرِك تقول." ريشة وحبةُ المطر تنزل على خديها.

- "ربما يجدر بنا الذهاب إلى مكان آمن من المطر، ستمرضين إذا بقيت في هذه الحالة."

رددتُ عليها وأنا أزيد من غمرتي. ريشة التي بدت وكأنها بحلمٍ، ساكرةً في تفاصيل اللحظة، تمسكُ بالورقة التي كتبتُ عليها قصيدتي لها، تضمها إلى صدرها، تحميها من اكتمال البلل الذي أصابها.

وددتُ إيقاف عقاربَ الساعة، دقات قلبي تتزايد، المكان الذي لطالما شكل لي راحة نفسية وهدوءا روحيا حين تزدادُ مشاكلي العائلية أو حينَ كنتُ أريد بعض السكون لقراءة روايتي المفضلة "قواعد العشق الأربعون" أصبح بالنسبة لي مكان الحلم، أنا اليوم أقرأ قلبا وروحا وكأنني أقرأ نفسي، أقرأ أسمى معاني الحب الذي يتخطى جميع الحدود والمعايير. وجودك ريشة يكفي لاكتمال بهجة الربيع، أنتِ حقا لستِ بجزء مني، بل أنتِ كلي وظلي وفكري وخاطرتي المفضلة.

بدأت تكلمني عن اشتياقِها لي ورغبتِها بارتباطٍ رسمي، كانت لمعةُ عينيها تحكي قِصصا لا يمتلكُ فنَّ فكِ شيفراتِها غيري. تتكلمُ عن رغبةٍ بتقبيلي وعن شوقٍ لكي تضمني إليها، كنت أشعر أن سعادة الدُنيا قررتْ السكونَ في أعماقي والاستقرار في قطعةٍ مِنها في داخلي.

أزدادُ تعلقا أيضًا، أهيمُ بسحرِ كلماتها التي تخرجُ من فوهِ وردةٍ جوريةٍ، كانت تارة تكلمني وأفقَهُ وتارةً تكلمني وأنا ساكِرٌ بجمال اللحظة، يغيبُ عني الوعي ويغتالني القلبُ بنبضاتٍ تتسارع مع كل حرف تتلفظُه.

بين عينيكِ وألوانها العسلية هناك دائمًا قرار، يخُرِج نوبات فِصامي، لا يترك أيّ خيار. كيف أقرر الابتعاد عنكِ؟ من ذا الذي يعرف ما يخفى خلف الستار؟ كيف لهلوساتك اللحاق بي وكيف السبيلُ للفرار؟....فأنا يا أنا لم أعد أمتلكُ إلا سردابَ الغرام الذي يقودني إليكِ وطرفة عينٍ اليك أحلي فيها أيامي كما يُضاف السُكر إلى فنجانِ قهوة.

كُحلةٌ بالجفنِ خَضار
و الأخضرُ لون مُيت
رفةٌ رؤيتُها نِضال
محظوظٌ فيها رُميت
عيونك بلونِ الرحيق
أجادت بقلبي ارتباط
و القمرُ منك يُحيك
شالا بعنقي رِباط
ريشة قلبي أنتِ الروح والنبض وهوائي الذي منه أعيش ❤

من حديثِها وبلحظةِ رباطَةِ جأشٍ واستجماع للوعي، سمعتها تتكلم عن الحب والدين وتتكلم عن ذاك الشخص أو المرجِع الديني (الشيخ) الذي شاهدته أمس في التلفاز، وقالتْ وقد علَت نبرة صوتِها - ما أحوجني لعناقٍ منكَ الآن يسلبُ مني التوتر وقبلةٌ أطير بها نحو السماء لكنني سمعت هذا الشيخ يقول بأنه أمر لا يجب القيام بهذا قبلَ أن يتوج حُبنا بالزواج. اكتفيتُ بتأملُ عينيها حينها، لم أكن أمتلِك إجابة، لكني احتفظت بسؤالها لكي أجيب عليه في وقتٍ لاحقٍ من النهار. في وقتٍ لاحق وفي أروع لحظات الطبيعة كنا نمشي بسكونٍ، وقفتُ فجأة وسمعتها قد أوقفت خُطاها مع اختفاء صوت جري أقدامي، اشتقت إليكِ ريشة قلبي....ما كدتُ أنهي جملتي حتى رأيتها تعانقني وكأنها تقول الحب فوق كل شيء....

إن القوانين مهما كانت دينية أو غير ذلك لم توضَع لنا..، بل وُضعت للذين لا يعرفون ماهية الحب والعشق، حسنا في المدرسة يضعون قانون لكي يجبروا التلاميذ على الالتزام ولكننا تلاميذٌ ملتزمونَ دونَ قانون.

بالتأكيد، بشكلٍ عام القانون أيا يكن وُضعَ للسيئين فقط الذين ممكِن أن يدَّعوا الحُب لنوايا غيرِ شريفة، والحدودُ حبيبتي وُضعت لمن لا يعرِف كيفَ يحافظُ عليها ويلتزِمُ بها....هي تعاليم من الرب وُضعت لتطبَق، حتى أني أوافق الشيخ برأيهِ لكنني أعرف بأعماقي بأنه لا يوجهُ كلامهُ لأمثالنا، لأني لستُ الشخص السيء ولستِ أيضًا كذلكَ وأعرف بباطني أن كلامهُ موجه لغيرِ قلَم وأمثالِ قلم وكلامه ليس لأصحاب القلوب النقية والحب الصادق والقلب الصافي، وأعرف أيضًا أن الدين في داخلي، في نواياي وفي كل جزء بيننا يكون.

إني أتحمل العقاب ريشة دعي التوتر يطير وضعي الفعلَ بذمة النوايا .

بين عينيكِ يجِنُ جُنوني
و كياني مبعثرٌ في اللا وعي
في الأبجدية تضيعُ كافِ من نونِ
و ليت طبيبا بحالي يعي
لحُضني تعالي وفي قلبي كوني
ببعدكِ فقيدٌ إليك سعيي

أُحبكِ، لا أدري إن كانتْ حروفٌ أربعُ تكفي، لا بل كُلي يقينٌ أن حروفَ اللغةِ بأكملها اندثرتْ أمام وصفِ مشاعري.
قالتها كان صوتُها تجويدٌ لآيات عشقٍ تُتلى على ضريرٍ فإذ بهِ جمال الله ينظر.

أمامكِ حوارُ العينِ يطغى
كابكمٍ اتلعثمُ والصمتُ يطغى
كلامٌ من العينِ قد فاق اللسان
وإليه ملاكُ الحبِ يصغى
فكيف كلامُ العينِ أضحى
من حروفِ اللسان أجمل أصفى
سكرانٌ أنا بينَ طياتِ الجفُون
و كيف من سكرةِ العيونِ أصحى

في نهاية النهار، سألتني ريشَة..... هل سيأتي يومٌ اراك تبتعِد عني قلَّم وتاسِرني بوجعِ الغِياب، أنا ريشّة أخاف من هذا الوجع، أتساءلُ أن كانت هناك ظروفٌ ممكن أن تُبعدكَ عني قلمي، أني أرى جميع العاشقين في شجار، والحبُ بينهم ينهار وأراهم يفترقون باسم الكبرياء وتبقى قلوبهم اسيرة الشوقِ موجوعة.

كنتُ أجلسُ أمام الكنيسة في ذلك الدير وأشرتُ بيدي اليسرى بإصبعي لتلك الكنيسة الذي يعلوها صوت القداس يوم الأحد وقلت لها وأنا أهمُ بالاقترابِ منها تاركا يدي اليمنى وراء ظهرها تتكئ على أكتافِها:

أزيلي من رأسكِ هذا الوسواس
والله لو سمعتُ في الجامع صوتَ القدَّاس
ورأيت على مداخلهِ تتدلى تلك الأجراس
وسمعتُ في الكنيسةِ كلمة الله أكبر
ورأيت ارتفاع المباني دونَ أساس
ما تركتكِ ريشةَ قلبي
حُبنا سيتكلمُ عنه جميعُ البشر
أنا الذي عشقتكِ بكلِ الحواس
نظري سمعي أحساسي شعوري
فوالله لو اجتمعَ علينا كلُّ الناس

و ضربوا ليفرِقونا أخماسهُم بأسداس
سنبقى نحنُ معا وليموتوا بكيدِهم
سيصيبُهم اليأسُ مِنّا ويغلبهُم النُعاس

ينتهي الكلامُ بيننا بمشهدِ غروبِ الشمس وغمرةٌ فعِناقٌ يحكي قصة عشقٍ وغرام ووصورةٌ تبتعدُ أكثر فأكثر لهذا المشهد، متناغمةَ مع صوتِ أجراسِ الكنيسة، كنهاية سعيدة لفيلم أو تلقي خبرٍ لعروس جديدة بأنها حاملٌ بجنينها الأول.

لا قوانينَ في الحب ريشتي ولا قيود، لا حلال لا حرام، لا ثوابَ لا عِقاب، لا صحيحٌ لا خطأ، أحبّيني بكامل الخطايا، فتِلك أحل المعاصي، وأجمل اختراقٍ لقوانين الطبيعة، أنا أحبّك إيمانا وحنينا وبرسيما وكفى.

بدأت المشاكِلُ تظهرُ بعدَ فترة وجيزة من علاقتي بريشة، لكنها مهما بلغت كانت تختفي بمجردِ سماعِي صوتِها أو سماعِها لصوتي.

لطالما كنت أعتبرُ أن المشاكل هي جزءٌ من أيّ علاقةٍ بين طرفين وتدل على الولوج إلى التفاصيل الدقيقة، لذلك كنا مهما اختلفنا وتخالفنا نعود في نهاية النهار إلى أحضان بعضنا.....

إلى اليوم التي حملتْ هذه المشاكل صبغة من إشراكِ المجتمع فيها وكان هذا الأمر حساسا بالنسبةِ لي ولكن كنتُ أعرفُ بداخلي أن لا ذنبَ لريشة بذلك فقد تحدثت في الآونة الأخيرة أنها لم تعد تريدُ اللقاء بي خوفا من كلام الناس خصوصا مع عدم وجود ارتباط رسمي بيننا، الأمر الذي لم أكن مستعدا لهُ بالنسبة لشخص لم تُخلق ملعقة الذهبِ في فمهِ ولا وُضِعت الريشةُ المشهورة على رأسهِ بل كان عليّ بناء نفسي من العدم وأكثر ما يدور في ذهني من سؤال "لمَ لعنةُ المجمع تلاحقني؟".

فماذا إن أمسكت يدها؟ أو قبلتها؟ أو غمرتها غمرةَ المشتاقِ إذا انفجر؟ ما علاقةُ الآخرين برزقي من الله؟

لكنّ إصراري لن تُبعثِرهُ الظروفْ، فكيف أستسلِم وأنا الذي أشعر بتِلك القشعريرة الجميلة تختَلِجُ في جسدي وأشعر بكِ لا تودينَ الابتِعاد؟

لم يكُن يوما الوصول إلى الكنزِ سهلا، فإن لم أكن لهذه المعركة فلأيِ معركةٍ أكون؟

أنا ذاك ال"جواد" الشُجاع عزيزتي.

لو كانَ الحلُم سهلا لما سُمِيَ بالحلُم فما نفعُ الوصول إليكِ إن كان الطريقُ يسير.

أين اللذَةُ في الوصولِ إن لم نذُق طعمَ المرارة، كيف على النجمةِ الحصول إن لم تلدغنا بوهجِها الحرارة. ريشةُ قلبي قلمُكِ مُرهَق، سامحي عجزي المؤقت ....

إن عدتُ فعودتي إعصار وأن طال الغيابُ فقد مِتُّ، موت روحٍ وحياءُ جسد وما نفع جسدي إن عدتُ...أُحبكِ لم يعد ينطُقها اللِسان، القلبُ نطقها إن قلتُ، فيقول فؤادي الملهوف، كلامي إليكِ قد زِنتُ، صدقي مجازَ الكلام وليُقطَع لساني إن زِدتُ.

كلّ يوم أتذكّر نظرة عينيكِ الأولى، وسلامنا الأول، من ثمَّ ابتسم، فسلاما على قلبي. حبّذا لو كانت هذه البداية تتكرّر كُلّ يوم، رغم أنني أراها في كلّ طية من طيات مشاكلنا عندما نقوم بفتح صفحة جديدة لحُبنا تماما كما تتشكل البويضة في رحم الأم وتبشّر بمجيء روح جديدة ونحرق تلك المليئة بالشجارات بكلمة حُبّ تُحدِث فارقا في تركيبة الجسد وليس فقط في زخرفةِ الأحرف.

أودّ أن نجلس سويا نتكلّم بقضايانا الخاصة أو ربما بقضايا الشرق الأوسط، لا بأس، المهم أن تتحدّث عيونُنا وتنبِض قلوبنا شغفا بـما يدور في خلاياها الدموية من حُبٍّ وحبّ..

أنا لكِ هذا ال"جواد"
لو كانَ الحلمُ عسير
ولو ازداد الوضعُ سواد
بالعتمِ سأبقى اسير
لن أبقى مثل الجماد
وضحيةَ الضعفِ أصيرْ

إنه المجتمعُ المريض الذي يضعُ الشيطانَ ثالثَ الموجودين مع العشاق، لم أُخبَر هذا يوما، فقد عرفت وجود الله في كل لقاء كان بيننا، لكن الأشرار قد كثروا وقصص الحب أصبحت على هذا الوتر البشِع.... ماذا عن قصتنا؟ إنها مختلفة وعندي ثقة كبيرة بهذا الاختلاف لكنني أراها تذهب ضحية النمطية المتوارثة أو ما يقال عنه بأن الخطوبة للتعارف، كأنه يقال للبعض إنها فترةٌ للتمثيل بأنكَ الأفضل.

كلام الناس لن ينتهي، كلام الناس لن يجعلني أخطو إلى الأمام ولا إلى الخلف، كلام الناس كما أطربها سلطان الطرب *ملامةٌ وغيرة لا أكثر*.

نعم نحنُ مجتمعٌ يخافُ الاختِلاف، يخافُ من كل شيء جديد، يشكِل له رؤيةُ موضوع جديد غرابةً كبيرة... فيظلُ يعمدُ إلى محاربة كل ما هو غير مألوف.

فقد مررتُ أنا بهذا الأمر وكدتُ أظن أني مخلوقٌ فضائيٌ جاء من كوكبِ المريخ.... في ذاكَ اليوم حين حملتُ باقة ورود وكنت أتسكعُ على الطريق منتظرا ريشة في أحد لقاءاتنا، كانتْ نظراتُ العالم من حولي مركزةً عليَّ،

أرى ذاك الذي يرمقُني بنظراتٍ بشعة أو إلى حدٍ ما نظراتٍ حقودة، نعم هذا هو توصيفُها الدقيق، وذاك أيضًا الذي يشيرُ لصديقهِ بيدهِ نحوي وهو يضحكُ ضحكةً ساخرةً وذاك المدهوشُ وكأنه رأى فيلا يطيرُ في السماء.
كان الأمر يبدو مزعجا للوهلةِ الأولى لكنني كنتُ أرى أيضًا بالمقابل بعضَ الناس التي توسّع حجرُ عينيها من الإعجاب بدلَ التعجُب وهذا لا بأس به بالنسبة لمجتمعٍ جاهل لا يفقهُ بالجمالِ شيئًا.

عِش حياتك دونَ قُيود
و تحرَر من كلامِ الناس
حُدودُكَ حدِدها باللا حدود
و نفسُك قيمْها بالألماس
لا تُقدِم للناس رُدود
وتضرب أخماسكَ بأسداس

حكمهُم مليءٌ بالظلام
و مهما فعلتَ لن تُرضي
ذاك عيبٌ وذاك حرام
نهايتكَ في بؤسٍ ستقضي
لن أكون مثلما كانوا
سمعتُ قبلي قد وقفوا

بقوقعةِ الخوفِ قد ماتوا
كـ فطيسةٍ بالهواءِ نَفَقوا

لن أكون مِثلهُم رقما
او أصرُفَ هوائي عبثا
أقفُ مكاني أراوِح
وأصبح مثلهُم عددا

ذاك محكومٌ بالعادات
و هذا تحكمهُ تَقاليد
لن أكون بيدِهم اداة
وأصبح مِثلَهُم تقليد

هي حياتي ولن أنفَكْ
أن أعيشَها بقناعاتي
لا تحشُر بداخلها أنفك
لستَ جِزءًا من صراعاتي

في كومةِ التفكيرالتي اجتاحتْ عقلي، كنتُ أتكلم مع صديقتي "نور" التي تعيش في أميركا، الصديقة البعيدة والتي أشعر بالراحة عند مكالمتِها لأنها جاهزة دائمًا لسماعي دون إطلاق الأحكام عليّ.

هذا أيضًا ما كانت تُجيد "رامونا" القيامَ بهِ، الاستماع والإصغاء لكلامي بطريقةٍ لا يفعلُها أحد.

وفي معتركِ كلامِها، حيثُ هي غائبةٌ في جوفِ الظروف، بعثةُ أملٍ لصديقةٍ مع بِضعَةِ حُروف.... بعيدةٌ هي مسافاتُها نحوي، كلامُها سِحريٌّ بالنَحَوي، من غيركِ يذكُرُ العرَبية؟ قد نالت مِنّا العِبرية.....

تحتّكُ بقلبي ك عودِ كِبربت، توقِظُ بداخلي ذاكَ العِفريت، تنسيني وضعي مع الزُكام، تنتشلُ روحي من الرُكام، وتطير بافق دون نهاية.

هي تلك الغريبةُ دوما، مع غرابتِها تمتزِجُ روحي، لا زالت الصداقةُ لها قيمة، صداقةٌ تتخطى المسافات، تتخطى صُورَ النِفاق، تتخطى زيْفَ الرِفاق، إليكِ أيتها الثائرةُ سلام، بلسمٌ أنت بذاكَ الكلام، وردةٌ شرقيةٌ غربِيةُ المكان، ابقي بعيدةً عن وطني، وطني جمالٌ سياسيُ الآلام.

كانتْ تُكلمني عن غُربتها، ونوباتِ همومها وأكلمُها عن وطني الذي ما عادَ له نشيد بعد أن تزيَّف بقمامةٍ بشرية فاسدة.

كلنا للوطن
أين العُلا للعلم
ومدفعُ الحرب الثيم
في إذن الرضيع طنْ

بنا قد غدرَ الزمن
بالسيف انكسر القلَمَ
سهلُنا صار مكَّبْ
و همُنا صار جبل

قولُنا صار هباء
و أصبحنا دون عمل
لا أحد لبى النداء
و انقطع فينا الأمل

غرِقنا في بحرِ الفساد
أصابنا يأسٌ وقلق
و حكَمَنا للأسفِ من
وطنَهُ سبقَ أن حرَق

في الأمسِ البابَ طرق
وأطلق فيضَ الوعود
رأينا ما نطق بهِ
حِبرا كانَ للورق

أفعالهُ محضُ جُمَل
سيحمِل همّ الشعوب!
خدعنا بزيفِ الحديث
و همُ الرغيفِ ما حمَل

ما نفعُ رفعِ النشيدِ والأعلام، عندما تصبحُ الحقوقُ أحلام، ما يجدي وقتها الندم
عندما تكون السعادة أوهام.
ما همهُ إن كنا في الاغتراب جالية، وأصبحنا نأكلُ في صحونٍ بالية؟
إلى أين المصيرُ والمَفَرْ، ما مصيرُ الأجيال التالية؟

في جوٍ من البردِ حيثُ الأمطارُ تقرعُ بابَ نافذتي بهدوء، والشوقُ يشعِل داخلي ويسخرُ من برودةِ الشتاء، كنتُ أفكرُ فيكِ.
ماذا لو كُنا الآن في هذا الجوِ العاصفِ، ورعدٌ وبرقٌ يُخيفُكِ ويرعِبُكِ وتزيدينَ بالاقترابِ مني مع كلِ برقةٍ ورعدة؟

أيُّ شتاءٍ سيكونُ هذا وأيُّ عاصفةٍ تكون دافئة، ما هذا الخوفُ الجميلُ وما هذا الرعبُ الساحرُ؟

لربما تتحول العاصفة إلى إعصار وتحوِل الخوفَ إلى ما يزيد واختصرُ مسافةً كانت يا ما كان، مندثرةً في جوفِ الذاكرة. قرأت لأول مرة رسالةً من ريشة كتبتْها بخطِ يدِها احتفظتُ فيها في الجانب الأيسر من قميصي وكأنها رسالةُ الخلاص ولكنها فجأة..... لم تكن.

"سيلٌ من الآلام قد دمرتْ بلداني وأنجُمي كي تتساقطَ على أوراقي كنِبالٍ وأسهمٍ، لكنّ ذاكَ الصوت الذي يلقي شِعرا كأنه تراتيل، ماذا عساي أنَ أصِفهُ؟ عزيزي قلَم تنساب الأحرف مني وفمي مغلق، أحرف مالحة تنزفُ على خدي، فتجرحهُ محدثةً خندقةً عميقة في قلبي. أحبّك، ولا أدري كيف يمكن للبعدِ أن يبيد وجودي، لا أدري إن كنتُ سأصبح ضريرةً بعد إدماءِ الروح والعيون، فقط أحبّكَ قلَم..... دعْنا نقيم اتفاقا، أن نبقى الآن أصدقاء إلى أجل غيرِ مُسمى "

توقفتُ عن قراءة مكتوبِها في المنتصَف، تنفستُ الصعداءَ بصعوبة وأكملت رحلة القراءة بحسرةِ نصفِ ما قرأت.

" تائهٌ أنت فلا تدميني، ومن ألمِ الأفكار لا تسقِني، لا تنظرني حبيبةٌ بل ابقِ عليّ داخل عينيك روايةً وصديقةٌ عزيزة لأجل مُسمى أنت أولى بتحديده، واترُكي سيلَ الاشتياق مكبوتا هنيهةً وتارةً فجِّريه، إن البوحَ بالاشتياق بعد كبتٍ أشبه بشرب ماءٍ باردٍ بعد عقدٍ من الارتماء في غياهبِ الصحراء.

نعم، أنا تائهٌ ولكن كيفَ لها بأن تكونَ بهذه الأنانية المفرطة؟....كتبتُ ردي لها برسالةٍ خطيةٍ أرسلتُها لها بخطٍ ونبض حزين.

وكيفَ لي أن أدميكِ
و هل ما يَسري فيكِ دِماء
أم عسل صافٍ صفاءَ السماء
صديقةٌ قد أبلَتني بعشقِها
و تخطيتُ بحبِها حدودَ الفَناء
فكيف أكبِتُ مشاعِري
و الغزلَ وكلامي الشاعِري
ماذا إن زلَّ لِساني
و نطقتُ بالغزلِ كلام
لا لوم عندَها لزلاتي
لجمالِ عينيكِ الملَام

هو كذلك والروح قد هوَت إلى الحضيض، هو كذلك ولا فرقَ بيني وبين جثةٍ هامدة في الثلج منسيةً، كأن محمود درويش قد فصّل قصيدته على قياسي وألبسني إياها بيديهِ التي تحملُ إحداهما جرحا طفيفا في ذِراعِ الحاضر العبثي.
تُنْسَى كأنك لم تكن،

تُنسى كمصرع طائرٍ،
كوردةٍ في الثلج تنسى وتُنسى.

أنا الذي أنسى، كسراب عابرٍ أو نسمة ربيعية لم تمرّ.

و ماذا فيكِ لا يُهوى
بصبرِكِ عليّ أيوبُ يَهوى
قلمٌ تنسابُ منه ألوان
قُطعةُ سكرٍ في كوبِ قهوى
قولي من على الصبر قد عوَّدك
وهل جنون العشقِ قد عاودكِ
أبتعد عنكِ؟ كيف تفكرين
أيُ كابوسٍ هذا قد راودكِ؟

قررتُ بلحظةِ تأملٍ، التماشي مع الوضع فلنكُن أصدقاءَ إذًا. أنا على ثِقة تامة بأنهُ اتفاقٌ فاشلٌ فالمشاعر أشبه ببركان لحظة الذُروة لا يُمكن إيقاف فورانهِ ولا السيطرة عليه.

استيقظت صباحا، لكن عينيّ أبت ذلك، كأنها تهربُ من شيء، من حقيقة أليمة، قلقي عليكِ وقلقي على ذاتي الأسير، لا بد أن الدمع جريحٌ، نعم صُدقا إن الماء رغم كونهِ السائلَ يجرح، ومن أعماقهِ يتملح.

فتتفتح عيناي على حقيقة صادمة وسؤال، ماهو حجمُ جرح البحار؟

يومٌ جديدٌ
نحنُ بشهرِ كانون
المطرُ ما زالَ يرفضُ الهُطول
هل نتجِه نحوَ جفافْ
وهل هذا الوضعُ سيطول
كان السماءَ اعتادَت الصيف
وترفضُ فكرةَ الانفصالِ عنه
ولكن رُغمَ هذا هناك علاماتُ بِداية
فمن بعيدٍ أرى الجبالَ تكسوها الثُلوج
ولدغةُ بردٍ تُجيدُ على الغُرفة الوُلوج
أعيدي قراءة ما كَتبت
ماذا تتذكرين؟

غوصي معي في المعاني
واعرفي ماذا أعاني
فهطول الأمطار مُحتَّم
والشتاءُ بُدَّ أن يعود
والرعدُ والبرقُ يسودْ
لن نجبِر الأمطارَ على العودة
فالعودة قادمة قادمة
نعم كانونُ يُذكِرُني بِحالي
فكانون أنا
والصيفُ هو الماضي
الشِتاء أنتِ
والثلوج في الجبال هو حُبنا
ولدغة البردِ صِدقُنا
سنعود يوما بِقوة
في الخسارةِ نحنُ أصدقاء
لن نضعَ للحبِ هُوَّة
وننتظِر ذاكَ اللِقاء

أنا كانونٌ وأنتِ الشتاء، ودرجة برد قاسية وحدها قادرة على جعل الشتاء شتاءً.

كان البعدُ مميتا يقتلني، قاطعتُ تنفسَ روحي بموتٍ رحيمٍ، أجهزة أوكسجين في كافة أرجاء جسدي، صورك، صوتُك، تفاصيلُك الصغيرة، بعدها حاربتُ روحي بمعركة النهايه، فكانت النتيجة أني وجدت أصابعي تكتُبُ لكِ عن لوعةِ العذاب واحتضار العيون، واسودادِ ما تحتِها، تمرُدٌ على الواقع واختلاق خيالٍ معكِ بـحُرقةِ قلَمٍ وورودٍ **بنفسجية**.

لكني والله لو كان قلبي يتناثر منه الدُخان من الشوقِ إليكِ لقلتُ لك أنها حفلةُ شواء لا أكثر.

و لكن إلى متى كبريائي سيصمُد؟

عرفتُ أن لا كبرياءَ يصمدُ أمامها وبدأت أفكر بالأمور.. كيفَ أمسكُ زمامها؟

كيفَ ترحلينَ ريشةَ قلبي؟، كيف ترحلين والعالمُ لم يعُد بعدُ في الميزانِ كفَّةٌ ولم تعودي الثانية في الكفَّة، بل أحطت أنت بالكفتين... فكيف ترحلين؟

وضعتُ بعض الماءِ في كفي وغسلتُ وجهي...لم أعرِف بوقتِها كيفَ أمام الشوقِ أحفظُ بعضا من ماءِ وجهي...أنا حبيبتي ساطِعُ الضياء..كيف لكِ اطفاءُ وهجي؟

أنا بينَ جِفنيكِ وَقعتُ أسيرْ
وإلى عينيكِ سأظلُ أسيرْ
لو حتى حالت بيننا دُروبْ
سيبقى الوُصولُ إليكِ يسيرْ
فلا تدعي الكبرياءَ يفوز
في لغةِ العينِ الصمتُ يجوزْ
ومهما ابتعدَ قلبي وسارْ
سأبقى لكِ لوْ صرتُ عجوزْ

الكبرياءُ بين عينيكِ ريشةُ محطَمةٌ، وعظامي وضلوعي بعيدا عنكِ محنطةٌ... فقولي ماذا تريدينَ يا وردة عمري؟، يا سكرةَ الادمانِ في دمي.....خذي مني **العلامةَ الثالثة عشر** وارحميني في البُعدِ من العذاب...
ريشةُ روحي **لا كبرياءَ في الحبِ** ولا تكبُر...ارحمي مشاعري الرقيقة من التخمُر...عودي لقلبي فالكل يشيرُ إليَّ.... فارحميني من التنمر.
كُنتُ أكذِب عليها عندما تمنيتُ لها أن تجد حبا في حياتها، كذبتُ عليها حين أوهمتُها بأني سأكون سعيدًا في سعادتِها مع أحدٍ آخر، ورضيتُ بصداقتِنا.
كان شعورا لا يوصفُ من الألم، كأني وُضِعتُ تحت الأمر الواقع لاصحى من سكرتي وأدخُلَ في كابوس الرعب الذي حاوطَ حياتي في السواد.

إنه كابوس مرعِب، كذاكَ الذي كان يراودني أثناء الطفولة فأصحو وأتغلغلُ بين أحضان أمي... ولكن اليومَ أمي ليستْ معي وأنا أقف وحيدا مذعورا من حياتي التي أصبحت على كفِ عفريتَكِ، كموتٍ بطيءٍ أو شعورٍ محتّمٍ لتصاعُدِ ذراتِ روحي في السماء.

كيف تكونين صديقتي وأنا الذي أراكِ طيفا في كل الوجوه وأنا الذي أبحث عنكِ في كل موضعِ أمان وزاوية...

أبحثُ عنكِ في وردةٍ فنفسجية اتكتْ أوراقها من ثُقلِ الندى عليها وانقضاء السنين، أبحثُ عنكِ بينَ اغصانِ شجرةٍ من الشتاءِ احتمى فيها طيرٌ حزين..... فإن طالَ بحثي عنكِ ريثَة ولم أجدكِ فحتما تكونين بين أورِدةِ قلبي وخلايا كياني ووجدًاني وبينَ مشاعِرٍ قتلها الشوقُ إليكِ والحنين.

ما تفعلُ تلكَ المغلوبةُ على أمرِها؟، وما أفعلُ أنا؟

هي غارقةٌ في غرامي وغارقة في أحكام المجتمع وأنا غارق في التفكير فيها، كنتُ أعرِف بداخلي أن لا حيلة لها ولكن كان انزعاجي أنها كانت تربُط الأمان في ارتباط رسمي بيننا.

كنت أعرفُ تماما أن كلامها عن الأمان لا يتعلق بعلامةٍ سابقة من تلك العلامات بل كان جزءًا من الصِراع التي كانت تعيشهُ ما بين حبِها لي والمبادئ الدينية التي يجب أن تلتزِم بها ونظرة المجتمع من ناحية أخرى.

لم أدرِ إن كانت ورقةُ ضغطٍ أم ماذا؟ لم يعد يتعلق الموضوع بالنسبة لي بارتباط رسمي فحسب بل بدأت أفكر أنا بالأمور التي تفكر هي بها .

في مرحلة الضياعْ، أعيش ازدواجية الصِراع، بين أن أبني السفينة أو أن أزيلَ الشِراع، كيفَ لسفينتي أن تبحِر؟ أنزلتُ مِرساة الكبرياء، وقفتُ كمذنِبٍ بينَ أبرياء...هل آن الأوان لإغراقِ المركب؟ برُّ الأمان لم يركَب... كيف إنكارُ الأمان؟

تقدمتُ بأفكاري للأمام...

سجينٌ أم طيرُ حمام! جحيمٌ بينَ الجِنان، كيف إنكارُ الأمان؟

إنها دائرةُ الفراقِ والعودة، هي **الرابعةُ عشر**، نحنُ ندورُ بحلقة، من نقطةِ الفُراق إلى نقطة العودة المحتمّة ومهما دُرْنا حول هذه الحلقة، نعرف في الصميم اننا سنعود إلى تلك النقطة التي تلتقي فيه كل العلامات وتمنعُ الفراق، إلى ذاك الحين الذي يصبحُ الفراق بيننا مستحيل.

ربما لأننا لنْ نعرِف قيمة الأمور إلا حين نفترقُ عنها، ليست بقاعدة عامة لكنها دليل لكل أمر.

واهية فكرة الصداقة، قلتُ لها ولكن حاولي، لمَ لا.... من يعرف كم هي صعبةٌ رحلتنا مع هذه الحلقة إلى رحلة البقاء للأجمل والأفضل.

ترد ريشة بصوت حزين:

- فتحتُ عينيّ صباحا كأنما أرى انعكاسا لوجهِك أمامي، تُمرِرُ يديكَ في خُصلِ شعري، فأضعُ يدي على وجهِكَ أتلمسُ نورا وحنانا يفيض منه.

وجدتُ نفسي أهمُّ بالاقتراب، وكلما اقتربت شعرتُ بخيالك يبتعِد حتى أدركت أني ما زلتُ في الحُلم وأن عينيّ مغمضتين حتى هذه اللحظة، لو أني لم أكتشف حقيقة الحلم وظللتُ أظنكَ. ربما أُصبتُ بذاك الذي يسمى "الزهايمر"، ونسيت أيّ اتفاق عقدناهْ وأنكَ صديقٌ ولستَ حبيب، دقات

قلبي تناهذ المليون من فرطِ الاشتياق، وما بالي بجنون التفكير بك قبل وبعد النوم، وأنت الأحلام تسكنُها.

الآن وقد خرقتِ بنودَ الاتفاق
فاتفاقي حبرٌ على ورق
أنهكَني شعورُ الاشتياق
ومن قلبي وروحي حَرق
فأضحيتُ مثل الجماد
أنتظِرُ هواءً عليل
ينثرُ بقايا رماد

وأين للخلاصِ سبيل
والآن وقد خرقتِ ما كان
فما رأيك ببندِ جزاء؟
سجنٌ لكِ بقلبي مكان
وعلى البندِ نقيمُ عزاء
و ليذهب اتفاقنا للجحيم
و تعالي نعيشُ في النعيم
الله قد أوصى بالحُب
وفينا بما وضعَ كريم

و لكن يبقى ذلك في الحُلم، تُسقطين حبكَ لي حلما، تسقطينهُ في كل أمر ليرتفِعَ شيئًا فشيئًا في قلبي. في رحلةِ حُبِنا، سأعتادُ الصمودَ والمحاولة، سأحاربُ زلات اللِسان لكيلا تتخطى الصداقة، لكني لن أعدَكِ بذلك..... لا فرقَ عندي بالتسميات، حبٌ كانَ أو صداقة أو أيا يكن، فأنا أعرِفُ جيدًا أن في قلبي قوة تسيرُني ولن تُخيِبِ ظني وأنا واثِقٌ جدًا مما أقول.

لن يضيعَ الوقتُ هباء
مثلكِ أخاف الماضي
حبُكِ يسري مثلَ وباء
لكني بالضياع ماضي
أن أخسركِ هذا غباء
فليحكُم بيننا قاضي
أني أخاف من السابِق
أن يخالِطَ أحداثَ الحاضِر
أخاف القبلْ أخاف الـ كانْ
أخاف أوجاعَ النِسيان
لا تدخلي بدوامةِ ضياعي
لا ذنبَ لكِ بما يحدُث

دعيني أُنهي صراعي
و الجِرحُ مني يحرُث

المشكلة مشاعِري لا تُكبتْ
عبرتُ بحبي لكِ سهوا
إن كان هذا أزعجكِ
فإني آسفٌ وعفوا
حبيبٌ أنا صديقٌ لكِ
أم صديقٌ يحبكِ لا تفرُق
أخاف خوفَكِ مني
ورعشةُ قلبِكِ تَحْرُق
و الآن الحكم للقاضي
أن ينظُرَ بقضيتِنا
فأما الحُكمُ عليَّ قاضي
أو المصير بقبضتِنا
فأراقبُ حبي لكِ خِلسة
ومن بعيدٍ أعشقُكِ
والآن رُفعت الجلسة

ريشَة :

"كأن أحرفكَ تتسابق لقتلي عنوة وكان صوتُكَ الخافِت يضعُ الملح على الجروحِ ويضغط، يتردُدُ صدى صوتِك على مسمعي، وصوتُ المطرِ المرتطمُ بالزجاج يتداخلُ مع كلماتِكَ كأنه الموسيقى الإيقاعية لقافية شِعرِك.

تزدادُ أنت تعلقا وأنا أزدادُ افتتان ولأجلك بتُّ أسهرُ الليالي كأني مستيقظةٌ وضح النهار، ابتسامتك سحرٌ وصوتكَ باتَ الجرعةَ الخاصة بي، نظراتُ عينيكَ أتوهُ أمامهما في مخيلتي فكيف بالحقيقة تنظُران.

صوتكَ الداء والدواء، اختنق أنا وروحي تتخبط داخلي، وكمجنونة استيقظت، أحاول التنفُسَ عبثا، كان الهواء الموجودَ في الغرفة بأكملها لم يعُد يكفيني، دموعي تأكل عينيّ، فما كان مني إلا أن حدثتُكَ، لا أدري هل هو عجزي عن الوقوف أم أنكَ من أرتاحُ بقربهِ وهذا هو الاكيد. حتى وانت بعيد فقد رأيت نفسي اضع رأسي على صدرِك وتضُمني أنت بين يديك تُهدا من روعي وتركتكَ تردد كلمات كانت أشبه بالخيال.

أنفاسي سكنتْ لتقديسِ لحظة التامل، بين عيناكَ العسليتان، التي ما زلتُ أنا ذاتي في حيرة من لونهما، سأكون كل شيء أنت بحاجة له، حبيبة، صديقة، رفيقة، فأنتَ فقط "جواد" قلبي.

لكِ أنت حبيبتي ريشة، كلامٌ يقِفُ على عتبةِ الاحساس، إن خطى خطوةً أماما التقطَت لخُطاهُ الأنفاس فيعودُ ويَقِفُ جبرا....فلِماذا نستبِقُ الأحداث؟

كُحلةٌ بالجفنِ خَضار
والأخضرُ لون مُميت
رفةٌ رؤيتُها نِضال
محظوظٌ فيها رُميت
عيونك بلونِ الرحيق
أجادت بقلبي ارتباط
والقمرُ منك يُحيك
شالا بعنقي رِباط

تجاوبني **ريشة**

- أحبّ أن أخبرك أن نظرتكَ محفورة في أقصى تجاويف قلبي وأنّي أحافظ عليها كأعزّ تذكار لديّ، أمان الأب وحنان الأم وفيضٌ من كرمِ الله ..... ولكن يجب أن نتوقف ها هنا في هذا الطريق إلى أجل لا أدري بهِ.... لا تطلب مني أيّ تبرير ولا تسألني شيئًا..... لن يصح في الأخير إلا الصحيح.

وقفتُ مصدوما أمام كلماتِها، مرتعبا من فكرة الانفصال عنها، وكأني وُضعت على شفير الموت....لم تكن تمتلك أسبابا ولكن كانَ في عينيها سببٌ دفين كان يدفعني إلى جنونِ الإدراك بهِ....لكنها لم تفعل وظلّ في عيونها سرًا أليمًا.

ريشةُ قلبي أنت الروح والنبض وهوائي الذي منهُ أعيش، قولي ما السِرُّ الذي تخفينهُ، بدأت أشعر بالخيبة التي لم أتوقع أن أصل إليها يوما معها .

لمَ أرى الخوفَ والتردد في عينيها وأفتقد فيها شيئًا كنتُ أراه في الماضي.

تلك الفتاةُ بدأت تتوارى، عوارِض الانسحاب تظهرُ من جديد، شارةٌ باللونِ الأبيض في كلامِها وطابةٌ تجلس في هذا الحلِق، كأنه مشهدٌ يتكررُ مرارا لكنه يستهلِكُني في كل مرةٍ أكثر فأكثر، إلى أن بدأت أختفي بخيبةٍ جديدة أضعُها بإرادتي في طياتِ الذكريات الحزينة.

لم تكُن تمتلكُ إجابة لأي تساؤلاتي، ولم أكن أجد إجابة سوى دموعٍ تسيل منها كسيلِ التيار.

أيُ إيجابيةٍ وأيُ قُوّة؟، أين الغُبارُ في ساحةِ القِتال ؟ الآن بيننا تكبرُ الهُوّة بهذا الطريقِ اخترتِ المسارْ.

و لكن يا عزيزتي لستُ أنا من تظنينَ أنه هو، احكمي جيدا معرفتي واعرفي بماذا تحكُمين. قويةٌ أنتِ؟ إيجابيةٌ؟ فلتتعمقي في تلكَ المفاهيم، راقبيني الآن أتوارى عزيزتي وأتجنبُ كنزا ثمينًا، قد فرِغَت كلُها محاولاتي وخسارةٌ ما وصلتُ إليه، لكني فخورٌ أني حاولتُ وحاولتُ وحاورتُ، إلى أن اختفيتُ واختفَت كلها كلماتي...

و بلحظةٍ هانَ الفُراقْ
وظننتِ الجِرحَ يهونْ
بارِدةٌ دونَ حراكْ
برودةٌ فاقتْ كانونْ
أين الوعدُ بالبقاء؟
أهكذا العهدُ يكونْ؟
وقفتُ دونَ حراكْ
وفائي محضُ جنونْ

بعد خسارةٍ كبيرة، تشعرُ بأن لا شيء بعدُ يؤثِرُ فيكَ، ولم يعُد لديكَ المزيدُ لتخسَره، يصيبُكَ فجأة البرودُ الساخِنُ، تنتقِم ببضعةِ كلماتٍ أشبه بصفعاتٍ على الوجِه.... هي صفعاتٌ لكَ على وجهِكَ الكتوم، لكي تصحى من ذلك الكابوسِ الحقيقي وهذا الخيال الواقعي، تصحى لكي تحُطَ بنومٍ عميق، تنامُ بأعيُنٍ منفتحةٍ وقلبٍ انتابهُ التعَب بعدَ دهرٍ طويلٍ ببضعةِ أشهر....قد قررّ من اليوم الدخولَ في ثُبات.

مسحتُ كلّ ما كتبْت، دفنتُ قلبي مع كلماتي جانبا بقبرٍ كبير، وقررتُ العيش راهبا أخدم ما تبقى من أيام جميله معكِ احتفظتُ فيها بزاويةٍ من ذاكرتي الهشةُ لغيركِ. أضرمتُ نارا في صدري رِدتُ ألا تنطفئ لكي لا أخونَ نفسي وأهدأ فجأة، اليومَ سأبدأ زيارتي إلى الماضي معكِ، لكني لن أعود من هذا الأخير إلى أن ألفُظَ نفسي الأخير....

طيفُ روحي من أمامي مرَّ
بداخلي يوما قد مرَّ مرَة
استوطنَ آنذاك عرشَ قلبي
و اليومَ كلامُه قد سكَب مُرَّه
كيفَ قالها ذاكَ من لا

قلبي كان عليهِ يقسو
أتُراه من فرطِ اهتمامي مَلَّ
أم هوَ من غيرِ كسائي يكسو

صوتٌ قد ولَجَ قلبي
سمِعتُ لصداهُ رنينْ
قد وضعتِ لحُبي قيودا
و جعلتِ فؤادي رهين

لن أقول لمَ افترقنا
أو ماذا حدَث....أو تذكُرين
ما إن مددتُ شمالي
حتى لاقيتِني باليمين

ثباتٌ ها أنا أدخُل
تخدَّرت روحي من الأنين
وجعٌ بُدَّ عينيكِ أن تراه
مكتوبٌ أعلى الجبين

ماذا إن كنتُ أعشقُكِ
الآن كوني على يقين
إن شعرَ قلبي بإحساسٍ
سأجيدُ قطعَ الوتين

ليس لديَّ ما أخسَر
اعتدتُ الفرحَ الحزين
والله لو لان الحجرُ
أعدُكِ قلبي لن يلين

أتظنينَ منكِ لن أشفى
أو فيكِ الفرحُ رهين
سترينَ منكِ سأخرج
مثل شعرةٍ بالعجين

لست حزينا منكِ
أقسم إليكِ يمين
أنَّكِ اليوم خسرتِ
قلبٌ بالطيبةْ حصين

شكرا علمتني حِكمة
إليكِ ممنونٌ مدين
أن الضربة التي توجع
تعطيني درسا ثمينْ

تمُر الأيام، محاولاتٌ متتالية لمجردِ استيعاب الأسباب، فأتلقى جوابي على هيئة دموع تزرفُها كل مرةٍ فيزرفُ قلبي أضعافا، نقطةٌ من دموعِكِ هي، أم نقطة من ضعفي، تعذبني ذاك العذاب البطيء وتلك الحرب الباردة التي تحطم دولا فكيف وهي مندلعةٌ في قلبي.

دمعةٌ تلاقي دمعة
و امتلأ القلبُ جُروح
أين اختفت تلك اللمعَة
الاكتئابُ في الافُقِ يلوح
قد انطفئَت آخر شمعة
و من الوجع قلبي ينوح

حبيبتي ريشَة... أعرف أني اغضبتُك في الاونة الأخيرة لكن اشتياقي لكِ في ظل قلة اللقاء، ابى إلا أن يكون انفجارا بالغضب الكبير الذي وجهته نحوك..فبدأت أعاتبُكِ، اتوتر واصرخُ عليكِ.....انتِ البوابة الوحيدة التي أخرج منها ضغط العمل والعائلة ومشاكل الوطن... نعم أني أفعل هذا لكني على يقين أن هذا الباب أمامي لن يقفَلَ ولن يغلقْ بوجهي.

يمكنكِ أن تقومي بالمِثل دائمًا...انا مستعدٌ لأحمل أطنانا من همومكِ حبيبتي...فأنا أيضًا بابُكِ الذي لن يُقفل.

تكلمي معي...صارحيني، اصرخي بوجهي، فجري وجعكِ المكبوت ولكن لا تسكُتي، تكلمي.... انطقي وارحمي عذابي المستترُ في قلبي، أفهمي أني حين اشتاق اصرخُ واغضب... أفهمي أني حين أقول لكِ ابتعدي تلك هي اللحظة الأهم التي أريدكِ فيها بجانبي.. شكرا لاحتوائي ريشَة.. شكرا لكونكِ الباب الوحيد الذي أوقِنُ أنه لن يُزال.

إنها **العلامة الخامسة بعد العشر، الاحتواء**، فالأبيض يظهرُ في الأسود والسوادُ يختفي في عرشِ السواد.

نعم أنت من أراكِ النقطةَ البيضاء في السواد واحتوي سوادكِ في بياضي واسودادي

و سأظلُ أفعلُ ذلكَ إلى اليوم الذي ساحُل فيه لغزكِ ولغزَ ابتعادكِ المفاجئ .

أتالمُ أنا
مخنوقُ النَفَس
أضلُعي تؤلمُني
دمعي انحبَس
كيف أصِف لكِ هذا الإحساس
كأنها الأخيرةُ تِلكَ الأنفاس
لا طاقة لي بما حصَل
وكيف الأمر إلى هذا الحدِ وصل
أين أنا وما المصير ؟
كيف حالي
إلى أين اسير
هل أسيرُ والحياةُ عكسي
أم أني أعاكِسُ طريق الحياة
ظالمة أنت يا حياة
قاسٍ أنت يا قدَر
شبيهة أنت بالممات
شعور اليأسِ حضَر
دمعة تجاري اسوادَ العين
قلقٌ وكوابيسٌ والنومُ أين؟

تمر شهورٌ، بعيدة هي عني، لا ترافُ بحالي، يتغيرُ صباحي بطرفةِ عين وأقاتلُ أنا من أجل البقاء.

اليومَ أحسستُ بالوِحدة
مع أن الجميعَ كانَ حولي
شيء ما ينقُصُني
قد سمِعتُ اليومَ فيروز
و تصدقتُ لذاك العجوز
لمَ إذن أنا ضائع؟
ولمَ يومي ليس رائعًا؟
لم أعتد أن يؤثر بي بردُ كانون
ولا أن يصيبَ مشاعري هذا الجنُون
ما فعلتِ بي يا فتاة
أحببتُكِ دونَ قيود
جعلتِ روحي فُتاة
كيف لرشدي أعود؟
خلية دون نُواة
ما عُدتُ أهوى الصمود

رعشةٌ هزت كياني وأضرمت نارا في فؤادي شعرت برغبةٍ في ضمك لعلّ هذا يهدئ من جسدي الهزيلِ والذي أنهكه الشوق. هل أتشقق وقلبي من مكانه يتلفظ رفضا للبقاء ورغبةً بالوصال؟

هل انحرافي يعاقب عليه الضمير إلى الجنون؟

كلمة انحراف تشعرني بالطاقة لتهشيم جزيئات الثواني والتحرر من الوقت من المكان

و أيّ مكان هذا؟ وأنا أشعر بالتقيدِ في دائرة مكانية، حدودها جزيئاتُك.

بدأت أتحسّس ذنوبي، ماذا فعلت؟ كأنه يومٌ ناقصٌ في حياتي، لم أدرِ ما حصلَ فيه.

بدأت أبحثُ عن الأسباب، هل هو ما كلمتني عنه مرة برغبتها بارتباط رسمي؟

لكننا حللنا هذه المسالة حينَ بعثرنا معالمَ الصداقة.... صرت أبحثُ عن أسباب حقيقية وظروف غير حقيقية لعلي أجد تفسيرًا لما حدث.

أعجبتني وردةٌ في ذاكَ البُستان، كنتُ كل يومٍ أسقيها وأهتم بها..... جاء ذاك اليوم المشؤوم حيث تعلقتْ أشواكُها في ثيابي في حينِ كنتُ أغادر المكان حيث هي، لم أنتبه لهذا الأمر ومشيْتُ خطوة إضافية... فاقتلعتها من جذورها.

وها هي تذبلُ وتموت وأنا من صنعتُ لها تابوت وكان ذنبي أني أحبّتها ولكني لم أكن حاضِرا لكي اضع جذورَها من جديد في ترابِ قلبي.... فانقلها بأمان.

و عندما سألتها عن الأمر اجابتني "مستعدة لانتظاركَ عمرا بأكمله، كفاكَ تعذيبا لي ولنفسك، السبب خارج إرادتي وإرادتك "
بدأت أشعر بالغضب من هذا الوضع، أيُّ سببٍ هذا؟ عن أيّ إرادة تتكلمين؟ خطوتُ خطوةً إلى الوراء لأول مرة راميًا قلبي لديها والذي لم أعد أريدهُ أن يكون في صدري.

قد كان قرارُكِ الافتِراق
الآن دوري باللعِب
ذوقي عذابَ الاحتِراقْ
بالغيرةِ والشوقُ صعِب
تراجُعي إحماءُ انطِلاق
ومني الصامِدُ قد تعِب
فمعي تجنّبي الاشتباكْ
سمكةٌ ستقعين في الشِباك
و ثقتُك الزائدة والغُرور
أمامي ستكون ارتباكْ

هي أوقاتٌ عصيبةٌ أمر بها، مُجرد التفكيرِ بما حدَث يصيبني بنوباتٍ من الهلع والجنون.

ماذا حدث للقدر الذي كنتُ أؤمن بصنعهِ، الآن إيماني يضعفُ أمام ما يحصل... كيفَ أبوحُ لها باشتياقي وشوقي وناري المشتعلة في صدري، ما ذنب قلبي الذي أُحبكِ؟

و بدأت أشعر بالاشتياق
و الحزُنُ المخيفُ قد حضَر
بالشوقِ إليكِ والاحتراقْ
ما الذنبُ الذي مِنّي بدَر؟
إن كان قدرُنا الافتراق
ما عُدتُ أؤمن بالقدَر

سيأتي ذاك اليوم التي تنتهي به هذه المعضلة والمتاهة وأعيدُ استئناف قدَري بعد صُعوباتٍ مبهمَة أنت أولى بمعرفتِها وإخباري بها.

و بعدَ شهورٍ ما الأخبار
هل زادَكِ البعدُ إبصار؟
أعرفْتِ "واد"كِ من يكون ؟
أم بقِيَّت تقتلُكِ الأفكار

هل رأيت بالبُعدِ نوم؟
أم ظلَّ القلبُ مُحتار ؟
بينَ القُربِ وبينَ البُعِد
لا يعرِفُ ماذا يختار

هل صارتْ الأشواقُ كوِم
والدموعُ مِثلَ الانهار
أم تُلقينَ عليَّ اللوِم
كالعادةِ بعدَ الشِجار

أما أنا فبالله عليكِ
اسمعي ردي بالأشعار
كتبتُ لكِ بالشعرِ بيوتا
و الشِعرُ رفيقُ الاحرار

في قلبي جرحٌ عميق
والعمقُ صار امتار
الدمعُ بالحزُنِ يليق
نطقتْ لوجعهِ الاحجار

لكني أقوى اليومَ عُدِت
قاسٍ غريبُ الاطوار
أقاوم بقلمٍ سليطْ
عالمٌ تحكمُه الأشرار
لا أنكرُ أنَّكِ قد كنتِ
جبلٌ عزيمُ الإصرار
لكني ببرهةٍ رأيت
جبلي أمامي ينهار

والآن راقبيني من بعيد
أبتعد مثل الأطيار
ك نهايةِ مسرحٍ أتوارى
وأختفي خلف الأستار

سأشتاقُ لكُ كُلَّ مساء
سأعترِفُ دونَ إنكار
أدورُ حولَ الأرجاء
أحارِبُ ظُلمَ الاقدار

لكني أعرِف بالصميم
إرادتي والقوة شِعار
سأخرج بين الرَميم
مُصلِحا فيضَ الاضرار

أنا كالورقة لا تخافي
أتهاوى دونَ إشعار
بهدوءٍ حتى أن سقطت
أتهادى بينَ الأزهار

هذه صراحتي وها أنا
أعطيتُك بئر الأسرار
لستُ بوجهين ولم أجد
يوما تمثيلَ الأدوار

أودُ أن أقول لكِ أني أخاف كل شيء، أني أعيشُ عقدةَ الخوفْ. أخاف إعادةَ التكلمِ معكِ وأخاف عدمَ البوح، ما السبيل إلى الراحة؟
أخاف أن يرمُقَني الانتظارُ بنظرةٍ ويقول لي قد ربحتُ الرِهان، أخاف منكِ يا من أجدتِ تحريكَ قلمي أن تُصيبيني بالشللِ الدائم، لكني على يقين بأملِ الرجوع، فإن لم يكن الرجوعُ إليكِ فهو الرجوعُ الصحي والنفسي، يا من أحبّبتُكِ، إن البعد لم يزدني إلا تعلُقا فيكِ، قد حانَ وقتُ قصيدتي الأخيرة، قصيدة الوداع ربما، قصيدة إلى اللا لِقاء.
بعدَ الفُراقِ، إرادة وقُوة، أنا لا أمتلِك بَذرَة الحُطامِ عزيزتي بداخلي... وحدهُم الضُعفاء يتحطمون. مُشكلتي بدأت معكِ حين شعرتُ بذاك الخوفِ في عينيكِ.
لم يكُن لديكِ عيونٌ مثلي ترى الراحة والأمان بمجردِ الوُرود على ذاك الخاطِرِ في رأسي. أعرف أنه بعد بضعةِ شهورٍ أو ربما سنوات، ستبحثين عن شيء مجهولٍ لا تدرينَ ما هو، سيقتُلُكِ التساؤلُ دونَ إجابة...ربما سيأتيكِ الجواب متأخرا بعد فوات الأوان، سيأتيك الجوابُ من فجواتِ الصدى ويكونُ أمامكِ مشهدُ التقاءِ كفينِ وتشابُكُ أصابع....

تعودتُ المَ الصداعً، وشلَلَ كُلّ حركتي، قد فشِل كل رهاني عليكِ، هو شعور الخيبةِ والظُلمِ والذنِب...يمتزِجُ كلُ شعورٍ فيهم، كما تمتزجُ عدة ألوان بعضها ببعض فيبقى بعد هذا الامتزاج لونٌ واحِدُ هو الخذلانُ الكبير.

شعور جميلٌ يحدُث
و مرحلةٌ انتقاليةْ
للمشاعِرِ بهدوءٍ يخدُش
و ضِحكَةٌ اصطناعيةْ
قد حاولتُ البُعدَ عنكِ
و ظننتُ جِفني لن يرمُشْ
قلبي رمَشَ قبلَ جِفني
محاولةٌ انتحارية

بيومٍ لا ليلَ فيه ولا قمَر
قررتِ الفراقَ وكسرتِ القسَم
أما وعدتِني في تلك الليلةِ الماطرة
ألا نفترقَ وألا ننقسِم
لديكِ ما قصةُ عزةِ النفسْ
قد قُلتُ لكِ يوما أنَّكِ الهواء
اليوم تركتني دونَ نفَس
ذبحتني ببرودةٍ دونَ عناء
من غيرَّكِ حبيبتي
كيف استطعتِ هذا الهجِر؟
كيف تحولَ قلبُكِ حجَر؟
هل كان الأمر استغلال؟
كيفَ قيدتِ مشاعركِ بأغلال؟
ما هذه الطريقةُ هيا سمّها
أهي أفعى لدغَت بِسَمِها؟
أم هي قصةٌ لم تستطيعي رسمَها
كيف أمكنكِ هذا البُرود؟
محيطٌ متجمد شماليُ الوجَع
قد لاقى جمادَه نحو الجنَوب
و نحو مشاعِري الساخنةُ رجَع

لك أقول أريد الرُجوع
ولنسى الماضي تحت القدَم
قد قلتُها مرارًا دونَ رُجوع
و قولي بحائطِ الرفضِ صدَم
و لكنها الآن محاولتي الأخيرة
قصيدةٌ تبقتْ بآخر الذخيرة
فيُشعرني جوابُك بالريبة
فاما تعودين وعرشُكِ قلبي
أو رفضٌ وشعورٌ بالخيبة
بعدها تأكدي بأني لن أعود
و بحياتي الوجع والألم يسود

قد انكسرَ القلبُ الآن وذهَب، ذنبُهُ إليكِ الحُبَ قد وَهَبْ، قد رأيت قلة كلامي انسِحابْ، لم تدركي يوما أن السكوتَ ذهبْ.
في الأمسِ كنتُ قد حَلَفتُ يمينْ، سانساكِ والله لو صِرتُ رَميمْ، اليومَ سمِعتُ لصداكِ رَنينْ، وكسرتُ قسَمي بالصومِ سنينْ.

كانَ لوقعِ قصيدتي، انفِجار إجابتِها، وعقدةُ الندم التي سكنتْ وجدًاني بعد إرسالي للقصيدة، لقد تمكنّ منها ذاك الذي افقدني صُهرا عزيزا..... صدمةٌ نفسية أعيشُها اليوم لا يمكنُ أن يفسِرَ صداها في قلبي أحد.

ذاكَ الخبيثُ يتعمد تدميرَ حياتي.... وأين أنا من كل هذا؟ كنتُ أُزايدُ عليها وجعها وهذا كان ذنبي بما لا أعرف.

و عرفتُ الآن شعورَ المكتئِب
جانبٌ فارغٌ مِن الكأسِ يرى
إن حاولَ النظرَ للجانِبِ الممتلِئ
أوقعَ الكأس والماءُ مِنهُ قد جرى
جوٌ من الحزنِ والبكاءُ قد ساد
والتفكيرُ زاد من الوضع سواد
نشاطٌ ضئيلٌ وأفكارُ انتحار
والفوضى بسوقِ العقْلِ كساد

آه وألف آه، أحُكِمَ على حياتي بالعذاب؟
كيف ينالُ من ابتسامتها ويُسقِط شعرَها الكستنائي الجميل؟، كيف يتجرأ على خلاياها المليئة بالحب وينال من لمعةِ عيونها الجميلة؟
لقد مضى على مرضِها قرابةَ الخمسة أشهر، خمسة أشهر من العذاب الذي أخذتُهُ مضاعفا في نفسي وجسدي، لم تكن تريدُني أن أتعذَب معها لكنها وضعتني بعذابٍ أكبر وأصعب حين أخفتْ عني هذه الحقيقة.
سامحي قصيدتي وقلةَ حيلتي ريشة، كيفَ يُلامُ مدمنٌ إن تصرفَ بجنونٍ وغباءٍ عند انقطاعهِ عن مادةٍ سببت له الإدمان؟

قولي لي ما يفعَلُ مدمِنٌ انقطع النيكوتينُ في دمهِ؟
لقد كُنتِ مادتي المُدمِنة، التي حينَ غابت لحظات ولظروفٍ قاهرة تصرفتُ بجنونٍ وحماقة لاحصل على قليلٍ من الوقت معكِ بعد .

قولي لي كيف الأم ولماذا أحصدُ الآلام؟ كيف تغيبينَ يا وجهَ القمر وكيف أُحرَمُ السَلام؟
حبي لكِ أقوى من أيّ سبب لا تعبرُ عنه الحُروف، حبي لكِ لا تعترِضه سوءُ الظروف، استرِق نظرةً لبعضِ الوقت على صورِكِ ....بعضُ الوقتِ بما يناهِزُ اليومَ كاملا، أمسحُ دموعا على خديكِ بمنديلٍ يلامس شاشةَ هاتفي، تلك دموعٌ سقطت مني سهوا على خديكِ في الصورة.
لا عليكِ فقد كنتُ منهمِكا بتقطيعِ البصلِ اليوم، أو هذا ما أفعله كلّ يوم، وهذا ما سببَ غبشا وسائلا شفافا في عيني.

ليست الدموعُ وحدَها تسقطُ سهوا، اسمُكِ أيضًا، حتى أني ناديتُ صديقتكِ باسمك عندما كنا نتحدث عن موضوعٍ سياسي يتعلق ربما بالانتخابات هذا الموسِم، أو بأصدق تعبير، كنا نتحدثُ عن طبقةِ الأوزون أو الاحتباسِ الحراريّ هذا الصيف.
احتباس حراري أو احتباس مشاعرٍ؟
غيرُ مهمٍ حبيبتي لم أعد أذكر، أو أن ذاكرتي قد اكتفَت بالوقتِ الذي قضيناه معا سابقا.

أما عن النوم، فاودُ أن أخبرك أني لم اذُق طعمَه منذُ أُسبوع، ضعطُ عملٍ، وبريدٌ يتوجبُ عليّ إرساله ليلا، ولكن ماذا، تقطيع البصلِ في النهار قد تركَ تأثيرهُ ليلا يبدوا أنه بصلٌ فآخر التصنيع.

أيُ كلمات ستعيدُكِ؟ كموجةٍ أراكِ تبتعدين، كنتُ لتفاصيلِ ابتعادِها حذِر لكني أعرِفُ أنه مدٌ ويأتي يومٌ يُقابلهُ جذِر.

علاقاتي الاجتماعيةُ قد زادت هذه الفترة، توثقت علاقتي بعلبةِ المنديلِ التي ترتوي طياتُها بالدموع.

أيضًا، علاقتي أصبحت وثيقة بالحائطِ فوق رأسي، الذي أحاورهُ يوميًا بتساؤلاتٍ لا إجابة لها، حول سببِ الرحيل. آهٍ وآهٍ، أيّ رحيل؟، ربما رحيلُ الدِهانِ عنه..... لا أكثر.

أستمع دائمًا لقصائد محمود درويش، لا أعرف لمَ تستهويني على وجه الخصوص قصيدةُ "تُنسى وكأنك لم تكُن"

القمرُ بِوصفِ جمالِها خطيبْ
وهي دوائي وبذِكرِها أطيبْ
ما سِرُ سِحرَك والرَيْحانُ يُجيبْ
لها من قطراتي النديّةُ نصيبْ
وزهرُ الشبابِ بغِيابِها يَشيبْ
والتفاؤلُ ضائعٌ والأملُ يخيبْ

قد بدأ ينتابُني احساسٌ مُريبْ
إلى متى غيابُكِ لقلبي يُذيبْ

سَيدَتي صدّقيني أنا لمْ الينْ وإصراري زادَ رُغمَ الأنين، وعنْ عِشقي إن كنتِ تُريدينَ شهودْ....تعالِي واسألي الشوقَ والحَنينْ.
كيف أرحل منكِ وأنا روحي ترحل إليكِ كل مرةٍ، من يطفئُ حبيبتي استفهامي المستمر؟

هل تعرِفين أن الجَنةَ بدونِكِ خِربَة؟
وأن الذهبَ اللامعَ بعيدا عن جسدَك تُربة
وأن الوجودَ معكِ في الجحيمِ وَطن
وأن الحياةَ في الوطنِ من دونِكِ غُربة
فكيفَ السَبيلُ أميرَتي بالله عليكِ
صرتُ أعيشُ في عالمٍ صارَ بينَ يديكِ
تائهةٌ هي حَياتي ضائعةٌ هي وجهَتي
فأنا عِندَ الرحيلِ منكِ اختارُ التِرحالَ إليكِ

اعلمي حبيبتي أنَّكِ النبضُ وأنَّكِ الوتينْ، وإن لمكانكِ في قلبي حصنٌ متينْ وأن الحب اليوم بدأ مسيرتهُ معنا والله دوما كانَ في قلوبنا وسيبقى كذلك إلى الأبد.

ريشة قلبي، كل ثانية بيننا مقدسة والوقت بيننا اليوم قد بدأ، وإني منذ الآن لنْ أُفارقَ عينيكِ لحظة.

نظرتُ إلى ريشة وأنا أتأملُ نظراتها الذابِلة، هل وصل الله إلى أعلى مراحل الشوق إليكِ ليأخذكِ ملاكا إليه ؟

قاطعَ شرودي هذا صوتُها الضعيف وتعلقت أصابعُها بين أصابعي وقالت لي:

- سامحني قلم

- أنا اسامحُكِ ولكن كيفَ أسامح نفسي التي كانتْ بعيدةً عنك؟ قلتُ لها

اقتربتْ ريشة إلى صدري وتغلغلتْ بينَ أكتافي كأنه آخر ما سيحتويها وأضافت :

- كأن صدركَ غرفةٌ من الجنة ودواءٌ لكلِ داء.

سرمديةٌ أنت في قلبي، أضعتُ في ذكراكِ البداية وتاهَ مني بحذرٍ زمانٌ كانَ النهاية، فكنتِ في قلبي إلى الأبَدِ ومن الأزل..... لكني أنا لم أزَل، أبحثُ عنكِ بخجل لزمنٍ دون أجل، أعاتِبُ لِساني الذي زَل، رغمَ كثيرِ ما بزَل أن يقول كلا ولا، لكنه قال أجل.

ما زلتُ لليومِ أبحثُ عن سرٍ دفين يفسر لي ما حصل، يعطيني جوابا يقين، سُرمديةٌ أنت في قلبي وأنا الأناني بالغرام.

أنا أنانيٌ بكل ما يتعلقُ بكِ، وذاكَ الذي يحاربني قبل أن يحارب جسدكِ لن يأخذكِ مني إلا ويأخذني أنا معكِ.

كانتْ كل هذا الوقت تخفي عني تلك الحقيقة المؤلمة لتحميني من نفسِها ومن تعلُقي بها، ها أنا أتعلق بكِ أكثر فأكثر مع كل ثانية تمُر، لستُ أنا الذي يرحل... أنا ذاك البركان الهائج ضد آلامكِ، أنا ذاك الذي ستكملين معه حلُمَكِ.... هذا أنا قلمٌ الذي لن يكون بدونكِ ما دامت هناك نسرةُ رصاصٍ فيه.

في الحِسابِ أنا لمْ أكن أُبالي
لا زائدٌ لا ناقصٌ لا كم يساوي
في انتظارِكِ أصبح للرقمِ معاني
في الحسابِ أنا صرتُ أجيدُ التفاني
صرت اضرُبُ أطرَحُ أقسم أجمَع
ليومِ التلاقي وليعرِف العالمُ أجمَع
صرتُ أحسبُ الوقتَ بالثواني

أنا لكِ، عاشقٌ مجنونٌ مفتونٌ بكِ، مهم عارضَ جميعُ الناسِ.... كغرامٍ يجمعُ جِفنيْن، في عيونٍ غلبها النُعاس.
تمر اللحظات الجميلة التي كُنتِ فيها أمامي، أستذكرُ كيفَ بدأ الأمر وكيف وقعتُ في غرامِك.

عينٌ بعينٍ ونظرةٌ بنظرة، وقعتُ ضحِيةً والموتُ أرحَم..... تساءلتُ كيفَ جذَبتَني بنورِ عينيكْ، كنتِ البادِئة والبادئ اظلم، من الخَجَلِ قد تفتّحَ لونُ الخدين، والخدودُ جعلتْكِ مِنَ البدرِ أوسَمْ، وغمازةٌ قد فاقتْ جمالَ العينيْن....جمالٌ جادَ فيهِ الرّبُ وأكرَم.

إنها الثقة، وليست أيّ ثقة تتملكُني، بل إنها الثقة بالاستمرارية، أنا أرى مستقبلي معكِ ريشة القلب، لا زلتُ لهذه اللحظة أفكر بأسماء لأولادنا وأنا ثابت على اتفاقٍ عقدناه سابقا.... "غدي " إن كان صبيا و" ليا " إن كانت فتاة. هي **علامة سادسة بعد عشرِة** علامات، ليبدأ العد العكسي بعدها لاكتمال كافةِ العلامات.

رحَلَ الشِتاءُ وجاءَ الربيع
و حبُكِ في قلبي لا زالَ ربيع
قد رحَل كانونٌ وجاءَ آذار
تاملأي حياتي لوْنَ الأزهار
عليكِ ما أفعلُ منْ أجل الحُصول
ك"أرزة" سأصمُدُ طولَ الفُصولْ
وخريفٌ سيأتي ونحوي تجرين
تمهلي منْ ماذا أنت تخافين
كورقةٍ تخافينَ مِني السقوطْ
اطمئِني لستُ كغدرِ تشرينْ

نعم، هو فصل الربيع يقترب، لكني لا أزال أبحث عنكِ بين طيات الشتاء، سأكون تلك الجرعة الكيميائية الدافئة في روحكِ، جرعة تتفجرُ بالحب الكبير.... فلنختلِق علاجا جديدا إذا، سأبقى معكِ إلى السرمدية التي لطالما عرفتَها معكِ .

سأحاور فصول السنة وسأبقى لديكِ في فصليّ الخامس.

هي حكاية الربيع تقترِب
والزهرُ تفتَّح بينَ البساتين
و ثمارُ الخيرِ تدلتْ عناقيدُها
تفاحٌ وعنبٌ..... أجاصٌ وتين
أما في قلبي كانَّ للحكايةِ نقيضَها
و لا زال زمني في الشتاء رهين

أين من سكنتْ في ربيع عمري
و قلبُها في موطني قد عمَّرَ
أين من أسكرتني دون خمرِ
وسِحرُها في ذاكرتي استعمرَ

سألت نفسي من فيضِ الفضول
كيفَ أضعتُكِ بينَ الفصول

أين أبحثُ ؟ في أيّ مكان
كيفَ مُجددا عليكِ الحصول

هل أجدكِ بينَ ورقات خريفية؟
أو على نافذتي كقطرةِ ماء
أو أنَّكِ ذهبتِ مع نسمة صيفية
أو بينَ الورودِ أو في السماء

أين ذهبَ فصليَ المفضَلُ
الذي كان لوجودكِ يُفاضَلُ
والله لو مرَّت فصول السنة
سأبقى من أجل عينيكِ أُناضل

أعمل دوما في أصلي
أبقى لرؤياكِ أصلي
إلى حينِ أشعر بلدغةِ المناخ
وتاتينَ ويأتي فيه فصلي...

إنه الصبرُ والانتظار، وعلامةٌ تُضاف، فكما كنتِ ستصبرين لنصبحَ في بيت واحد أنا مستعد لأحمل أطنانا من الصبرِ والانتظار لأجل ضحكةٍ واحدة من عينيكِ يوما ما، هي إذًا **السابعة عشر**.

سأكتب لكِ من بعيدْ
و أعرِفُ أنَّكِ ستقرأين
كلماتٌ من نبع قلبي
يملأها الحبُ والحَنينْ
فلو حتى مرّتْ سنة
أو حتى مرّتْ سِنينْ
حُبُكِ سيبقى في قلبي
كوني أنت على يقين

فلا قلبي تغيّر
و لا عقلي تحيّر
إصرارُ أيوبَ تغيّر
وإصراري لن يتغيّر
سيأتي ذاك اليوم
و ينُبِتُ حُبُنا جَنينْ

ريشة الروح، حبيبتي، ما حلّ بوردة البنفسج الجميلة، أُحبكِ كما لو كنتُ أقولها أول مرة، أُحبكِ واعرف أني معكِ على الحلوة قبل المُرّة، أحبّك كما لو أن مرورك يشعرني أن جمال الكونِ من أمامي قد مرّ.

هيا ننشئ مدرسة العشاق، لنُعلِم منهاجا عشريني نصل به إلى تعليم معنى الوفاء والعشق.....هات يديكِ الناعمة، وانظري بعينيكِ اللامعة، أنا قلبكِ، أنا عقلكِ، أنا يديكِ ورجليكِ، أنا حواسكِ الخمسة، أنا ذاك في انهيارك أكون جسورا داعمة.

ريشةُ قلبي، لا شيء سيسقط ذاك الكستنائي الجميل، أنا مؤمن بكِ، ولا شيء عندي تغير، قد أدمنتك يا وتينا بجوار قلبي..... يا بلسمَ الجراح في عمري والجرح اللئيم.

يادفئًا قد سكن عمري يا بردًا سقيم، يا روحا أحيتني بضحكةٍ..... يا موتا رحيم.

كيف لا وأنا الذي أدركتُ السعادة فيكِ وبين طيات عينيكِ، إنها السعادة المطلقة وعلامةٌ جديدة، السعادة التي لن تتغير ولن تصغر، لا زلت أشعر بها الآن بمجرد ورودكِ في بالي، فخورٌ أنَّكِ لا غير سواكِ حبيبتي، والله لو كنتِ جثةً هامدة لا سمح الرب فأنا ذاكَ الذي سأسكنكِ كفنا أبيضا.

السعادة والتي ترتبطُ أيضًا بالسرية، فكلما كانت العلاقة سرية بمعنى أنها بعيدة عن صخب العالم والمجتمع كلما أوصلت أكثر إلى مستوى أكبر من السعادة، وكلما ظهرت للعلن، أُصيبت بلعنة الحسد والغيرة.

ماذا عن ابتسامتكِ؟! سأعملُ كي تصبحَ جزءا ثابتا من ملامحِ وجهكِ، جمالُ يوسفَ، وجريمة هي غيابها عن تكاوينكِ، لن تكون تلك النهاية ريشة

قلبي، أني أرى نهارنا وو ليلةَ زفافنا أمامنا وأرى أطفالنا يلعبون أمامنا ورؤيايَ أنا لا تخطئ ....

لم يكن مجردَ حب من القلب، لطالما لم أبحَث عن هذا الأمر وحده.... لستُ أنا الذي يريد فتاة تشبههُ.... قد كنتِ تلك الفتاة التي تكملني ولا تعتبرني نصفا يضافُ إلى نصفها الثاني بل كنتِ كمالا يضاف على حياتي وكيف يوصفُ أن كان فوق الكمالِ كمالٌ. نعم لسنا نشبه بعضنا، هذا مملٌ نوعا ما بالنسبة لي... لطالما أعطيتني تلك الحرية الجميلة التي شكلت هاجسي معكِ. ليس منطقيا إطلاق الأحكام على أيّ أمر بالحياة دون إطلاق العنان لحريتهِ..... لقد كنتُ شخصا حرا في علاقتي مع ريشة ولم أكن مجبرا على افتعال أيّ شيء غيرِ عفويٍ بداخلي... **العلامة التاسعة بعد عشرة** علامات جعلت من الأمورجميلة ولم يبقى من اكتمال القمر سوى ليلةٍ واحدة.

لم تكن تريد أن أبقى معها، واجهتُها ووقفتُ معها للأخير.... راقبتُ نظراتها المليئة بالحب، كانت تقول لي في كل مرة إنها تحبني بالرغم من عدمِ تلفظها. قبلتُ جبينَها، وشددتُ على يديها وشعرتُ بذاك الأمان نفسِه الذي لطالما شعرته معها ولم أعرِف ما السِرُ في أن يكون مصدرُ الأمان جسدٌ هزيل، لكني صحوتُ من سكرةِ تفكيري وعرفت أن الأمان موطنهُ القلب الذي يسكنهُ الرب والذي حتى أن ماتَ الجسد، فالقلبُ فيهِ لا يموت.

ريشة قلبي

أتعرفين قلمُكِ من يكون؟

أنا ذاكَ الذي فيكِ مجنون

صاحب البسمة الدائمة والقلبِ الحنون

كيف أصبحتِ حصينةً في قلبي؟

قلعةُ بعلبكَ وشجرة زيتون ؟؟

وأنتِ التي منذ أن رأيتك وأنا بعينيكِ مفتون

لستُ كما يقول آخرون

لستُ درويشا ولا أميرا ولا هارون

و لا حتى أمسك بيدي غليون

أنا الذي والله لو رأيتني مطحونٌ معجون مطعون مدفون مديون ملعون مسكون مسجون...

و رأيت المرض ينتشرُ داخلي كالطاعون

فأمامكِ كل أمر عليَّ يهون

فلا تدعي قلبي بين عينيك مرهون

بعد أن قدمت لكِ النبض فيه عربون

واكتمل فيه القمر

واكتملت **العلاماتُ العشرون**

الإيمان بكل علامة من هذه العلامات، كانتْ هي **العلامة الأخيرة**، أن نفهمها لنعرِف أن لا شيء في الحياة صدفة، ووجودكِ في حياتي ريشة لم يكن بصدفة.

أُعجبت بكِ، وبكل أمر يتعلق بكِ، أحبّبتُ روحك الجميلة والنادرة والتي لم تكن تشعرني إلا بالاختلاف والتميز، بدأت أشعر بعدها أني أشعر بنقصان كبير حين كنتُ أشعر بابتعادِكِ عني وأصبح لدي شغفٌ باللقاءِ بكِ وشغفُ الاقتراب منكِ.

شعرت بتغيرٍ طرأ على حياتي شبيهٍ بعصا سحرية..... بدأت أشتاقُ لكِ وأصبح البعدُ مغامرةً صعبة، صرتِ الأولى بكل أمر وبكل قول وبكل فعل.

بدأت أشعر أني أهتم بك لا إراديًا وكأنك قطعة من قلبي وذاتي وأصبح كل أمر يتعلق بك استثناء....شعرتُ بالغيرة من خيالكِ فكيف وأنت يقرُبكِ أشخاص أكثر مني، ولأول مرة أصبحت على إيمان كبير بأن الله كان في كل خطوة بيننا فكنت من الله إيماني والرسالة الأسمى....

أصبحتُ أهتم بالتفاصيل ليس فقط المتعلقة بكِ، بل بتفاصيلِ حياتي أيضًا وأصبحتْ الأخيرة لها معنى بعد أن دخلتِ إليها.

تشاجرنا كثيرًا، استعملنا فنونَ النكد لكننا كُنا على يقين أن لا كبرياء في الحب وعرفنا بأنه مهما افترقنا فإننا سنعودُ إلى تلكَ الدائرة التي أدخل فيها بحالات الهوس.

احتوينا بعضنا البعض كما يحتوي المنديل سيلا من الأمطار.... كنت على ثقة الاستمرار وبنيتُ مدينة عائلتي معكِ وأنتِ كنتِ فيها التي تقبع الجنة تحت قدميكِ. عرفت جيدا ما معنى أن يكون الصبر مفتاح الفرج وأن يكون القلب مفتاح الإنسان... عرفت معنى السعادة الحقيقية معكِ بعيدا عن صخبِ الناس وعرفت أن ابتسامتي جميلة ولا علاقة لها بالأسنان؛ بل بذلك القلبْ الذي تخرجُ منهُ، وقد أكمل حكم القلب أيضًا حكم العقل عندما رأيتك تكملينني بكل شيء.

تلك هي حكاية **العشرون علامة** اكتملت، بعد عدة أشعر عرفتُ أن للعلامات العشرين علاجٌ لا يمكن للطبِ تفسيره، وحدثي اليومَ قد أصاب ..... الله يقبع بقلبِ كل أحد منا ولولاه لكنتُ الآن رمادا ينثره الاكتئاب والقلق.

وضعتُ باقة الورود من يدي على قبرِها، وأكملتُ مسيري في انتظارها وقلت بصوتٍ صارِخ "**أنتظرُكِ**"...

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع